المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وأصلي وأسلم علي رسولك محمد خير الأنام والذي بعثته رحمة وهدي للعالمين .

تأتي هذه الدراسة لإبراز دور فقهاء المالكية السياسي والحضاري في دولتي مالي وصُنغي (٦٢٨-١٠٠٠هـ/ ١٢٣٠-١٥٩١م) حيث كان لهؤلاء الفقهاء دور مهم في بلاد السودان الغربي ، وقد بدأ هذا الدور في زمن دولة مالي واستمر في دولة صُنغي ، لا سيما في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية . فقد كان لهؤلاء الفقهاء جهود عظيمة في مجال نشر الإسلام والثقافة والعلوم الدينية واللغة العربية ، كما كان لهم و على مدي أربعة قرون في دولتي مالي و صُنغي الإسلاميتين أثر كبير في التطور الحضاري والاجتماعي الذي طرأ على هذه البلاد ، إلي جانب جهودهم في المجال السياسي إذ شاركوا في إدارة البلاد من خلال تولي الخطط الدينية.

أسباب اختيار الموضوع :

يرجع اختيار موضوع الدراسة إلي عدة أسباب أولها قيام فقهاء المالكية بدور مهم في حضارة بلاد السودان الغربي في العصر الإسلامي وقد استمر هذا الدور لهؤلاء الفقهاء في تلك البلاد حتى بعد سقوط دولة صُنغي علي يد السعديين في ٢٠ رجب ١٠٠٠هـ/ ١٣ مايو ١٥٩١م ، ومن أجل إبراز هذا الدور لفقهاء المالكية في بلاد السودان الغربي ، كانت أهمية هذه الدراسة . وثاني هذه الأسباب هو أن المذهب المالكي يُعد من المحاور الرئيسية التي قام عليها مجتمع بلاد السودان الغربي في عهد دولتي مالي وصُنغي ، وكان لهذا المذهب من خلال فقهائه دور في مناحي الحياة كافة في هذا المجتمع .فكان على الباحثة إبراز هذا الدور . أما السبب الثالث والأخير هو أن فقهاء المالكية قد حظوا بدراسات في بلاد المغرب والأندلس ، لكن لم يتطرق

الباحثون إليهم بدراسة متكاملة تبرز دورهم في مناحي الحياة كافة في بلاد السودان الغربي .

ولأهمية هذا الموضوع أفردت الباحثة هذه الدراسة لتكون مكملة للدراسات التي قدمت عن دولتي مالي وُصنغي في التاريخ الإسلامي .

الفترة الزمنية للدراسة :

بدأت الدراسة بقيام دولة مالي الإسلامية عام(٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م)حيث شهد المذهب المالكي في عهد هذه الدولة الانتشار والذيوع ، وأصبح المذهب الرسمي لهذه الدولة . وامتدت الفترة الزمنية للدراسة إلي فترة سيطرة صُنغي الإسلامية علي السودان الغربي حتى سقوط هذه الدولة عام (١٠٠٠هـ/ ١٥٩١م) وذلك لان المذهب المالكي تحققت له السيادة خلال عهد هذه الدولة .

وقد قسمت الباحثة الدراسة إلي تمهيد و خمسة فصول وخاتمة .

في التمهيد والذي عرض لبدايات ظهور المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي . عرضت الباحثة للمذاهب والفرق الإسلامية التي كان لأصحابها جهود في نشر الإسلام ، وكيف انتهي الأمر في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي بانتصار المذهب المالكي حتى أصبح المذهب الوحيد لأهل هذه البلاد .

ثم جاء الفصل الأول بعنوان : مراحل انتشار المذهب المالكي في السودان الغربي ، وقد بدأت الباحثة بعرض مرحلة ذيوع وانتشار المذهب المالكي في دولة مالي، ثم تطرقت إلي عرض مرحلة سيادة هذا المذهب في دولة صُنغي .

أما الفصل الثاني والذي كان عنوانه: عوامل انتشار المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي فقد تناول العوامل الداخلية ، والتي تمثلت أولاً في تغلب المذهب

المالكي علي غيره من المذاهب والنحل الإسلامية الأخرى و ثانياً ملاءمة هذا المذهب لطبيعة أهل السودان الغربي ، وثالث هذه العوامل الداخلية ما يتمثل في دعم السلطة الحاكمة للمذهب المالكي .ثم عرضت الدراسة العوامل الخارجية وتحديداً منها ما يرجع إلي سيرة الإمام مالك إمام دار الهجرة ، والتأثير المغربي ، ورحلات الحج ، والرحلات العلمية .

وفي **الفصل الثالث** وعنوانه : فقهاء المالكية والحياة السياسية في بلاد السودان الغربي تناولت الدراسة علاقة هؤلاء الفقهاء بالسلطة والتي تأرجحت بين علاقة صداقة تارة ، وعلاقة عداء تارة أخرى ، وذلك من خلال عرض علاقة فقهاء المالكية والعرش في دولة مالي ، ثم علاقة فقهاء المالكية والعرش في دولة صُنغي . وتناول هذا الفصل أيضاً الدور الذي قام به فقهاء المالكية في إدارة الدولة من خلال الخطط الدينية التي تولوها مثل خطة الكتابة ، وخطة القضاء والفتيا ووظيفتي الإمامة والخطابة .

وجاء **الفصل الرابع** وعنوانه : فقهاء المالكية والحياة الاجتماعية في بلاد السودان الغربي ، وفيه تناولت الباحثة الجذور الإثنية لفقهاء المالكية ، ومكانة هؤلاء الفقهاء الاجتماعية بين طبقات المجتمع ، ثم دور فقهاء المالكية تجاه العادات والتقاليد ذات الأصول الوثنية ، وأخيراً فقهاء المالكية والاحتفالات الدينية .

وفي **الفصل الخامس والأخير** والذي كان عنوانه : فقهاء المالكية والحياة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي عرض هذا الفصل للتكوين العلمي والثقافي ، ثم الدور التعليمي لهؤلاء الفقهاء وإنتاجهم العلمي والثقافي ، وأخيراً الصلات العلمية والثقافية بين فقهاء مالكية بلاد السودان الغربي وفقهاء مالكية المغرب ومصر والحجاز .

وجاءت خاتمة الدراسة التي عرضت لأهم النتائج التي توصلت إليها.

وقد اعتمدت الباحثة في إعداد هذه الدراسة علي العديد من المصادر الأصلية والتي تتصل بموضوع الرسالة منها المخطوطات ، والمصادر المطبوعة ، والتي تمثلت في مصادر تاريخية ، ومصادر جغرافية ، ورحلات ، ومصادر تراجم وطبقات ، ومصادر فقه ونوازل، بالإضافة إلي المراجع الحديثة العربية والمعربة ، وأيضا المراجع الأجنبية .

أولاً الوثائق والمخطوطات:

اعتمدت الباحثة علي عدد من المخطوطات والوثائق لعلاّمة صُنغي أحمد بابا التنبكتى المتوفى عام(١٠٣٦هـ/١٦٢٧م): منها "إجازة منه للإمام أبى الفضل بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحى" وهي وثيقة بالخزانة العامة بالرباط ، مجموع رقم ٣٦٩٣.(وهي إجازة من أحمد بابا بن أحمد بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت، كتبها للشيخ عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم (الحاحي)، بتاريخ ١٣ ذي القعدة عام ١٠٠٨/ ١٦٠٠) .وتبرز هذه الإجازة حرص فقهاء المالكية علي نشر العلم ، كما تبين المقررات والكتب المعتمدة في الدراسة .

كما اعتمدت علي "إجازة للخطيب أبى زيد الوقاد التلمسانى" وهي وثيقة بالخزانة العامة بالرباط ، مجموع ٣٦٩٣. وهي إجازة من أحمد بابا إلي القاضي ابن الوقاد عبد الرحمن بن محمد التلمساني نزيل تارودانت بالمغرب الأقصى بتاريخ يوم الاثنين ١٣ ربيع الآخر عام ١٠٠٧هـ/ ١٥٩٨م وهي مطولة وعامة. ولأحمد بابا إجازة أخرى للمجاز ابن الوقاد، وهي خاصة بكتاب الشفا للقاضي عياض.

كما أفادت الباحثة أيضا من مخطوطة أحمد بابا بعنوان "أسئلة إلى علماء مصر " وهي مخطوطة بالمكتبة الوطنية بباريس ، مع مجموعة رقم . ARABe:٥٣٨٢. وكان قد أرسلها أحمد بابا إلي علماء مصر في بعض الأمور التي أشكلت عليه ، وكان قد كتبها عام (١٠١٤هـ/ ١٦٠٥م) ، و بلغت واحدا وعشرين سؤالاً تدور حول أمور

متعددة . وتبين هذه المخطوطة عمق الصلات التي ربطت فقهاء مالكية مصر بفقهاء مالكية صُنغي .

وأفادت الباحثة أيضا من مخطوطة " أسئلة في المشكلات " وهي مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط مع مجموعة رقم ٤٧٠ من الورقة ١١٨ظ إلى الورقة رقم ١٤٠و .(وكان قد أرسلها أحمد بابا بعد أن كتبها قبل عام (١٠١٠هـ/ ١٦٠١م) إلي مفتي المالكية في مصر سالم السنهوري المتوفى عام ١٠١٥هـ/ ١٦٠٦م) وتحتوي علي ستة وثلاثين إشكالاً فقهياً .كما أفادت الباحثة في أن مؤلفها هو من أبرز الشخصيات العلمية التي عاشت في فترة الدراسة .

وهناك مخطوطة لمؤلف مجهول بعنوان "رسالة إلي نوح بن الطاهر بن أبي بكر بن موسي تتحدث عن الأسكيا محمد الكبير وصلاته مع علماء زمانه" وهي مخطوطة في مكتبة مماحيدرا ،بمدينة تنبكت (مالي) غير مصنفة.وقد أفادت الباحثة من هذه المخطوطة في مدي حب واحترام أسكيا الحاج محمد الكبير للعلم والعلماء .

أما مخطوطة" نسب سيدي يحيي" لمؤلف مجهول أيضا وتوجد في مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية بمدينة تنبكت (مالي) رقم ٢٤٠.فقد أفادت هذه المخطوطة الباحثة في التعرف علي نسب سيدي يحيى بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن التغلبى التادلسى الشريف المتوفى عام(٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م) . وأفادت في دراسة الجذور الإثنية لفقهاء مالكية تنبكت وفي التعرف علي الصلات العلمية التي ربطت فقهاء المالكية بغيرهم من فقهاء العالم الإسلامي .

كما اطلعت الباحثة علي وثيقة النهر والي (محمد قطب الدين بن محمد المتوفى عام(٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م) وهي عبارة عن إجازة صادرة منه إلى الحاج إبراهيم بن عبد الرحمن الجنوى التكرورى ، وهي وثيقة في مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس ، رقم ٢٠٦٥، ورقة ١٣- ب).وقد منحت هذه الإجازة العلمية من الفقيه

محمد قطب الدين النهروالي مفتي مكة المكرمة إلي تلميذه الحاج إبراهيم بن عبد الرحمن التكروري الجنوي ، وقد تلقاها الأخير أثناء تأديته لفريضة الحج عام(٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م) .وقد استفادت منها الباحثة لأنها أوضحت المقررات الدراسية التي كان يتلقاها أبناء السودان الغربي علي أيدي أساتذتهم بالمشرق ، كما أظهرت الصلة بين فقهاء بلاد السودان الغربي وفقهاء مكة المكرمة .

كما استفادت الباحثة من عدد من المخطوطات منها مخطوطة أحمد بن أحمد بن عمر أقيت المتوفى عام(٩٩١هـ/ ١٥٨٤م) " مناخ الأحباب من منح الوهاب" ضمن مجموعة بالخزانة العامة بالرباط ، رقم ٥/ ١٨٩٠ . ومخطوطة أحمد بابير الأروانى :" جواهر الحسان في أخبار ملوك السودان" وهي مخطوطة في معهد البحوث والعلوم الإنسانية بنيامى النيجر، تحت رقم ١٠٦ ، ص ١٣ ب . وكذلك مخطوطة سيدي مختار أحمد بكر الكنتي بعنوان " الإسلام في إمبراطورية سنغاي" مما حيدرا ، دار الإحياء ، مدينة تنبكت (مالي) رقم ١٨٠٩ . ومخطوطة محمد محمد المفتى (مرحبا): "فتح الحنان المنان بأخبار السودان " بمعهد البحوث والعلوم الإنسانية ، نيامي بالنيجر ، رقم ١٠٨ .

وكذلك مخطوطة الوسيانى (أبو الربيع سليمان بن عبد السلام المتوفى عام ٤٧١هـ/ ١٠٧٨م) "سير أبى الربيع الوسيانى" ،وهي مخطوطة بالهيئة المصرية العامة للكتاب دار الكتب المصرية تحت رقم ٩١١٣ح ميكروفيلم رقم ٨٤٥٢.

ثانيا المصادر المنشورة :

أفادت الباحثة من عدد ليس بالقليل من المصادرة المنشورة وقد تنوعت هذه المصادر فكان فمنها .

أولاً : المصادر التاريخية :

(أ) عبد الرحمن بن خلدون (أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الشهير بابن خلدون المتوفى عام ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)

ويعد كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر وأيام العرب والعجم "، ، من أهم المصادر التي اعتمدت عليها الباحثة في دراستها ، فقد أفادت في التعرف علي بدايات المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي ، وجهود حكام دولة مالي في ذيوعه انتشاره .

(ب) محمود كعت التنبكتى المتوفي عام (١٠٠٢هـ/ ١٥٩٣م):

"تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور " طبع هوداس و دولافوس ، باريس ، ١٩٦٤م، وهو الأهم بين المصادر التاريخية التي استعانت بها الباحثة حيث أفاد الدراسة في فصول عديدة منها ، وكان قد بدأ في تأليف هذا الكتاب عندما بلغ الخمسين من عمره، وهذا الكتاب يعتبر من أهم المصادر التاريخية حيث عاصر المؤلف عدداً من حكام دولةُ صنغى الإسلامية ، وقد قام بالحج مع الأسكيا محمد الكبير عام (٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م) وكان في صحبتهم عدد كبير من فقهاء المالكية ، ويحتوى تاريخ الفتاش على عرض لمختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لدولةُ صنغى الإسلامية ، وكذلك يلقى الضوء على بعض الأحداث لدولة مالي الإسلامية ، فوصف مالي وقوتها واتساعها . وأفادني هذا الكتاب كذلك في الحديث عن كثير من فقهاء المالكية الذين أثروا الحياة العلمية والثقافية والدينية زمن دولةُ صنغى وإلي ما بعد الغزو المراكشي مما يدل على أن أحد أحفاد الفقيه محمود كعت قد أكمل ما بدأه جده.

(ج)عبد الرحمن السعدي (عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران السعدي المتوفي عام ١٠٦٥هـ/ ١٦٥٥م) :

ويعتبر كتابه" تاريخ السودان" من أهم المصادر التي تحدثت عن دولة صُنغى ، وعن سني على ، ومدينة تنبكت والطوارق ، وذكر لنا عدداً ليس بقليل من الفقهاء ومدي علاقاتهم بالسلطة الحاكمة . وقدم لنا مادة غزيرة أفادت في دراسة الفصل الخامس من الرسالة والذي عرض لفقهاء المالكية وأثرهم في الحياة العلمية والثقافية.

ثانيا : كتب التراجم والطبقات :

(أ) أحمد بابا (أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت المتوفى عام ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٦م)

وقد افادت الباحثة من العديد من مؤلفاته منها كتابه "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" والذي يُعد من أهم المصادر التي اعتمدت عليها الباحثة وكتاب "كفاية المحتاج لمعرفة من ليس بالديباج" وكذلك كتابه " تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء" وقد تمت الاستفادة من كتابات أحمد بابا الذي ترجم لعدد ليس بقليل من فقهاء مالي و صُنغي مع اهتمامه الأكبر بذكر أقارنه ومعلميه من الفقهاء والعلماء.

(ب) البرتلي (محمد بن أبي بكر الصديق البرتليالمتوفي عام ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م):

وكتابه" فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور" من المصادر المهمة لتاريخ دولة صُنغي، فقد أمد الباحثة بمعلومات كثيرة عن فقهاء دولة صُنغي ، وعن بعض فقهاء المدن الصحراوية وما حولها . وقد أفاد هذا الأمر في تتبع الصلات الثقافية بين بلاد السودان الغربي، وبلاد المغرب ، ومصر ، والحجاز .

ثالثاً: كتب فقه ونوازل :

(أ) المغيلي (محمد بن عبد الكريم المغيلي المتوفى عام ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م) :

يعد كتاب" أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي من أهم الكتب التي ساعدت الباحثة في معرفة الحياة الاجتماعية والثقافية و مدي أهمية الفقيه ومدي تأثير أرائه الفقهية على الحاكم والرعية وقيام الفقيه بدور إرشادي مهم للسلطة الحاكمة ، حيث استعان به الأسكيا محمد في معرفة بعض المشاكل التي واجهته في حكم دولته .وقد أمدنا هذا الكتاب ببعض الممارسات الوثنية وجهود فقهاء المالكية في القضاء عليها .

(ب) السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكرالسيوطي المتوفى عام ٩١١هـ / ١٥٠٣م):

وكتابه "الحاوي للفتاوى، وهو من أهم المصادر التاريخية التي اعتمدت عليها الباحثة في معرفة الحياة الاجتماعية والدينية من خلال الأسئلة الواردة من التكرور ، فقد أمد الباحثة بالكثير من صور الحياة في مملكة صنغي ومدي حرص أهالي تلك البلاد في معرفة رأى الدين في شتي أمور الحياة هناك.

(ج) الونشريسي (أحمد بن يحيي بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي المتوفي عام (٩١٤هـ/ ١٥٠٨م) :

وكتابه "المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب " ويمتاز كتابه هذا بكثرة ما احتوي عليه من نوازل فقهية ، وكان المفتون في المعيار هم فقهاء المالكية في الغرب الإسلامي من تلاميذ الإمام مالك إلي شيوخ الونشريسي وأقرانه المعاصرين له ، حيث أمدنا الونشريسي بنازلة ترجع إلى أواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، كان قد أفتي فيها الفقيه أبو الحسن القابسي

(٣٢٤ـ٤٠٣هـ/ ٩٣٥ـ١٠١٢م) بفتوى تبين إسهام تجار المالكية في التجارة الصحراوية ومن أسهم في نشر الإسلام والمذهب المالكي .

(د) ولأحمد بابا التنبكتي كتاب "معراج الصعود " وهو أجوبة أحمد بابا حول الاسترقاق" وهو من أهم الكتب التي أفادت الباحثة.

رابعاً : المصادر الجغرافية والرحلات :

كما أفادت الباحثة من المصادر الجغرافية و كتب الرحلات التي ضمت الكثير من المعلومات المختلفة سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية عن دولتي مالي و صنغي. واعتمدت الباحثة علي مصدرين من كتب الجغرافيا أفادا في كتابة الفصل التمهيدي من الرسالة والذي رصد لبدايات المذهب المالكي في السودان الغربي وهما :

(أ) البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري المتوفى عام ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) .

وكتابه "المسالك والممالك " من أهم المصادر التي أماطت اللثام عن بلاد السودان الغربي في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، وقد أتاح لنا هذا المصدر معرفة مدينة التكرور ، وكيف أسلم أهلها ، وكذلك كيف أسلمت مدينة سلي وإمارة مالي ، وكذلك معرفة النظام السائد في وراثة العرش في دولة غانة ، بالإضافة إلي معرفة وفرة الماء في الصحراء متمثلا في العيون والآبار التي حفرت مما أدي إلي سهولة الاتصال بين شمال الصحراء وجنوبها .ولدقة معلومات البكري وغزارتها نقل عنه البعض ومنهم صاحب الاستبصار في عجائب الأمصار ، وهو لمؤلف مجهول من جيل القرن السادس الهجري / الثاني عشر للميلاد .

(ب)ـ الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الإدريسي المتوفي عام ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) :

وكتابه" نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " وردت فيه معلومات ذات قيمة عظيمة عن بلاد السودان الغربي ، فقد تحدث عن مدينة سلي ، والتكرور وحاكمها . وقام بوصف دولة غانة وصفا كبيرا ، كما تحدث عن دولة مالي ، وقد أفادت الباحثة من هذا المصدر إفادة كبيرة .

أما أهم كتب الرحلات التي رصدت تطور المذهب المالكي في دولة مالي فهو " رحلة ابن بطوطة" (هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي المتوفى عام ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)

ويعد كتابه (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الإسفار) من أهم المصادر التي اعتمدت عليها الباحثة لأن ابن بطوطة كان شاهد عيان على كثير من الأحداث أثناء رحلته إلي دولة مالي الإسلامية عام ٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م ، فقد نقل لنا صوراً حية لحياة مجتمع دولة مالي ومذهبه المالكي . وقد ذكر ابن بطوطة أسماء كثير من فقهاء المالكية الذين قابلهم في بلاد السودان الغربي دون ذكر تفاصيل كافية عنهم ، بل اكتفي بذكر أسماء بعضهم فقط.

(ب) ليو الإفريقي (الحسن بن محمد الوزان المتوفى عام ٩٦٠هـ/ ١٥٥٢م)

وقد أفادت الباحثة من كتابه" وصف أفريقيا " وهو من أهم كتب الرحلات التي اعتمدت علي مشاهداته الشخصية ، وقد سجل الوزان الكثير من المعلومات المهمة في دولة صُنغي في عهد أسكيا أبو بكر ، كما سجل لنا الكثير عن المراكز الحضارية خاصة مدينة تنبكت ، كما أمدنا ببعض المعلومات عن الحياة الاجتماعية في مجتمع بلاد السودان الغربي .

خامساً : كتب الموسوعات :

(أ) العمري (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري المتوفى عام ٧٤٩هـ/١٣٤٨م):

ويعتبر كتابه" مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" من أهم المصادر التي اعتمدت عليها الباحثة وخاصة الجزء الرابع الذي عرض فيه لدولة مالي ، ويعتبر من أفضل النصوص التاريخية التي وردت عن دولة مالي رغم أنه لم يذهب إلى بلاد السودان الغربي ، لكن جاء وصفه عن أقاليمها وقبائلها ومدنها غنياً وفريداً ، كما تحدث عن فقهاء المالكية بها اعتماداً علي روايات شفوية تلقاها عن أفراد أقاموا في دولة مالي .

(ب) القلقشندى (أبو العباس أحمد بن علي القلقشندى المتوفى عام ٨٢١هـ/١٤١٨م):

ويعتبر كتابه "صبح الأعشى في صناعة الانشا " ، الجزء الخامس ، موسوعة كبري في مختلف فروع المعرفة التي يحتاج إليها أي باحث في شتى العلوم ، حيث قدم وصفا لجميع الدول التي لها علاقة بمصر ، ومنها دولتا مالي وصُنغي مجال البحث ، ورغم اعتماده علي مؤلفات المهلبي وابن سعيد وأبى الفداء وابن خلدون والحميري ، فقد جاءت المعلومات التي سجلها وخاصة في الجزء الخامس من موسوعته والمتعلقة بدولة مالي ذات أهمية كبري أفادت البحث .

سادساً : المراجع العربية والمعربة :

كما اعتمدت الباحثة علي العديد من الدراسات الحديثة خاصة كتابات أ.د/ إبراهيم علي طرخان و أ.د حسن أحمد محمود ، والدكتور أحمد الشكري ،

والدراسات التي قام بإعدادها أ.د/ حسين مراد ، د/ كرم الصاوي باز ، ود/ سوزي أباظة ، بالإضافة إلي الدراسات القيمة التي تناولتها في موسوعة" تاريخ إفريقيا العام " وخاصة تلك التي وردت في الجزأين الثالث والجزء الرابع منها.

كما اعتمدت هذه الدراسة علي كتابات جون هونوك (JOHN HUNWICK) ، وهي

Les Rapports Intellectuals Entre Le Maroc Et L Afrique Sub–Saharienne A Travers Les Ages,

ودراسات نحيا ليفسون (Nehemia Levtzion) وهي :

Islam in West African Religion Society and Politics to١٨٠٠ حيث تعرض للنهضة الثقافية في عهد منسا موسي وخاصة في مدينة تنبكت ، كما تحدث عن سني علي وعن عدم فهمه الصحيح للإسلام ، لأنه يجمع بين الإسلام والتقاليد ذات الأصول الوثنية ، كما تحدث عن دولة الأساكي وخاصة أسكيا داود الذي زوج ابنتيه من عالمين تاجرين. وكتاب إلياس سعد

Social history of Timbuktu,the role of musolim schlars (Elias n. Saad) and notables الذي استفادت منه الباحثة حيث تحدث فيه عن مصادر الثروة و عن مدينة تنبكت كمركز تجارى وثقافي ، كما تحدث عن الجانب الاجتماعي و عن عائلة أقيت ، وعن مكانتها الاجتماعية في هذه المدينة ، وكذلك أدم باكوناري

_ Les Relations Politiques Et Culturelles Entre Le (Adam Ba konare) Maroco Et Le Mali A Traverse Les Ages.

كما أفادت الدراسة من العديد من المقالات التي نُشرت في الدوريات العربية والأجنبية والتي جاءت في قائمة المصادر والمراجع.

obeikandl.com

التمهيد
بدايات ظهور المذهب المالكي في السودان الغربي

١ـ انتشار الإسلام في بلاد السودان الغربي

٢ـ انتشار التجارة وانتشار المذاهب والنحل الإسلامية في بلاد السودان الغربي والتجار.

٣ـ المذهب المالكي في صُنغى.

٤ـ المذهب المالكي في إمارة التكرور.

٥ـ المذهب المالكي في مالي.

٦ـ المذهب المالكي في غانة.

obeikandl.com

obeikandl.com

ظهرت أهمية المذاهب الفقهية في الشرق الإسلامي في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي لاسيما عندما امتدت الفتوحات الإسلامية لتشمل دولاً عديدة وأجناساً متباينة ، لها تقاليد و أعراف جديدة مما استدعى أحكاما غير تلك التي كانت سائدة من قبل[١].

كما قام أهل الورع من العلماء العارفين بالقرآن الكريم والسنة النبوية باللجوء إلى معرفة الأحكام عن طريق الاجتهاد في فهم هذين المصدرين الأساسيين للشريعة القرآن الكريم والسنة النبوية. وتعددت الفتاوى في المسألة الواحدة[٢] ، وكان ذلك أمراً جديداً ، لأنهم لم يعتمدوا على الرأي والقياس إذ أن كبار الصحابة اعتمدوا في أحكامهم أساساً على القرآن الكريم والسنة النبوية ، إذ لم يجدوا سواهما بديلاً ، وسار على ذلك من احتذى حذوهم ، فانقسموا إلى مدرستين[٣]: المدرسة الأولى تعتمد على النص الشرعي ، وتمثل المدرسة الأولى الحجاز مهد السنة وموطن حملتها من الصحابة ، والمدرسة الثانية تعتمد على النص الشرعي مع الأخذ بالرأي والقياس ، ويمثل المدرسة الثانية العراق و هو موطن حضارة قديمة جنح أهله إلى الرأي والقياس[٤]. وبين مذهب أهل الحجاز ومذهب أهل العراق ظهرت مذاهب تجمع بين المدرستين العراقية والحجازية وهكذا انتشرت المذاهب الفقهية فظهر مذهب

---

(١) ابن قيم الجوزية " شمس الدين أبو عبد الله بن أبى بكر المتوفى عام ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م " : أعلام الموقعين عن رب العالمين ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٣م ، جـ١ ، ص٢١.

(٢) محمد الخضري : تاريخ التشريع الإسلامي ، مطبعه الاستقامة ، القاهرة ١٩٣٩ م، ص١٥٢.

(٣) ابن خلدون "عبد الرحمن بن خلدون المتوفى عام (٨٠٨هـ/ ١٤٠٣م) "، المقدمة ، تحقيق حامد أحمد الطاهر ، دار الفجر للتراث ،القاهرة ، طـ١ ، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤م ، ص٥٣٩.

(٤) ابن قيم الجوزية : مصدر سابق ، جـ١ ، ص ١١١ ، محمد الخضري : مرجع سابق ، ص ١٥٣.

الإمام أبو حنيفة[١] في العراق ومذهب الإمام الشافعي[٢] في مصر ومذهب الأوزاعي[٣] بالشام غير أنه لم يضاهِ المذاهب التي انتشرت في العالم الإسلامي كالمذهب المالكي[٤]

---

(١) أبو حنيفة :هو " النعمان بن ثابت التميمي " مولاهم الكوفي ، وهو أحد الائمة الأربعة ، ولد فى عام(٨٠ هـ / ٦٩٩م)، وعمل بالتجارة ، وتتلمذ على يد عدد كبير من التابعين ولزم أستاذه حماد بن أبى سليمان في رحلاته الحجازية لأداء فريضة الحج ، وبعد موت أستاذه (١٢٠هـ/ ٧٣٧م) ، توسط حلقة الدراسة في المسجد ، وإلية كانت الرحلة العلمية وإطار منهجه الفقهي القرآن والسنة وأقوال الرسول والقياس وتوسع فيه ، والاستحسان والإجماع والعرف ، ومن أخص تلاميذه : يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصارى نسبا ويكنى بأبي يوسف ، وتلميذه الثاني محمد بن الحسن الشيبانى المتوفى(١٨٩ هـ / ٨٠٤م) أنظر الرازي :"أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم بن إدريس ، الجرح والتعديل ، طـ١ ، مطبعه دار المعارف العثمانية بحيدر أباد ، الدكن ، الهند ، ١٩٥٢م ، دار إحياء التراث بيروت ، ص٤٥٠.

(٢) الشافعي : " هو محمد بن إدريس أبو عبد الله القرشي ، ثم المطلبى الشافعي "ولد بغزة ونشأ يتيما في حجر أمه التي انتقلت به إلى مكة ، ثم درس الفقه ، فساد أهل زمانه وأخذ العلم عن شيوخ مكة ،كمسلم بن خالد الزنجي ، وسفان بن عتيبة وكان من تلاميذ الإمام مالك ، ورحل إلي العراق(١٨٤هـ / ٨٠٠م)، ثم انتقل إلي مصر فأقام بها حتى توفي عام(٢٤٠ هـ/ ٨٥٤م) ، ومنهج الإمام الشافعي في الفقه وسط بين الحديث والقياس ، أنظر السيوطي "جلال الدين عبد الرحمن " طبقات الحفاظ ، تحقيق على محمد عمر ،مكتبة وهبة ، القاهرة ، طـ١ ،١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ص١٥٢.

(٣) الأوزاعي : " هو أبو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد أبو عمر الاوزاعي " عالم أهل الشام ، ولد سنة(٨٨هـ/ ٧٠٦م)، وكان يسكن دمشق ثم انتقل إلى بيروت ،وقد حدث عن أستاذه مكحول عالم أهل الشام ، وكان فقيهاً يعتمد علي الحديث وقد توفي عام (١٥٧هـ/ ٧٧٣م) ، أنظر الاصبهانى :"أبو نعيم أحمد بن عبد الله "، حليه الأولياء ، وطبقات الأصفياء ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م ، جـ٦ ، ص١٣٥ ، ١٤٩.

(٤) مالك : " هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر الأصبحى إمام دار الهجرة " ينتمي إلى قبيلة حمير التي ترجع أصولها إلى قحطان ، ولد رضي الله عنه بالمدينة المنورة سنه(٩٣ هـ / ٧١١م) ، وتوفى (١٧٩- ٧٩٥م)، أنظر عياض : " أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبى السبتى المالكي "ت ٥٤٤ هـ / ١٢٥٠م " ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك ، تحقيق أحمد بكير محمود ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ، جـ١ ، ص١٠٢،وأنظر كذلك، كارل بروكمان : تاريخ الأدب العربي ، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، دار المعارف المصرية ،

والمذهب الحنبلي[١] الذي ساد في بغداد .

ويعد المذهب المالكي الذي ساد في الحجاز نظاماً عاماً للمجتمعات الإسلامية التي انتقل إليها هذا المذهب ، وهى مصر وإفريقية والأندلس والمغرب الأقصى ، ومن تلك البلاد انتقل إلى الدول الإسلامية التي قامت في بلاد السودان الغربي[٢] .

ط٥،بدون تاريخ، جـ٣، ص ٢٧٤، ٢٧٥، حيث كانت المدينة دار حديث وإسناد ، فكان أهل الفتوى بالمدينة من التابعين ، ومنهم سعيد بن المسيب وهو سيد التابعين ، وعروة بن الزبير ، وخارجة بن يزيد الذي كان يقسم المواريث في المدينة ، وسليمان بن يسار وهو عالم المدينة ، وعبد الله بن عتبة بن مسعود ، وكان يعتني بالحديث ، ثم أتى بعدهم محمد بن المنكدر الذي وقال فيه الإمام مالك بن أنس "كان سيد القراء "، ومحمد بن شهاب الزهري ، وهو أول من دون العلم ، إلى أن توجت " بمالك "الذي ذاع صيته وفاق أقرانه ، وكثر تلاميذه الذين انتشروا في الأقطار الإسلامية ، وللمزيد أنظر ،ابن خلفون الأندلسى: أسماء شيوخ الإمام مالك بن أنس ،تحقيق محمد زينهم عزب ومن أقوال الإمام مالك التي تدل على حرصه على أخذ العلم " أن هذا العلم دين ،فانظروا عمن تأخذون منه ، ولقد أدركت سبعين ممن يقولون : قال رسول الله ﷺعند هذه الأساطين فما أخذت منهم شيئا ، وإن أحدهم لو أؤتمن على بيت مال لكان أمينا ، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن " أنظر الرازي ، الجرح والتعديل ، جـ١ ، ص١٢.

(١) الحنبلي : "أبو عبد أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى المروزى ثم البغدادي ولد في بغداد (١٦٤هـ/ ٧٨٠م) ، ومذهبه يعتمد على الكتاب والسنة والتشدد في الحديث ، للمزيد أنظر الذهبي :"شمس الدين أبو المحاسن محمد بن على بن الحسن الدمشقي "، تذكرة الحفاظ ، مطبعة التوفيق ، دمشق ، ١٣٤٧هـ ،ص٤٣٠ ،٤٣١.

(٢) السودان الغربي " مصطلح أطلقه الجغرافيون العرب على المنطقة التي تقع جنوب الصحراء الكبرى والممتدة بين المحيط الاطلسى غربا وبحيرة تشاد شرقا ، ويطلق عليها الآن منطقه غرب إفريقيا ، أنظر :أحمد الشكرى : الإسلام والمجتمع السوداني ، إمبراطورية مالي ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، الإمارات العربية ،١٤٢٠هـ ، ١٩٩٠م ، ص٥٧.

ويرجع للمذهب المالكي الفضل في بناء صرح الحضارة الإسلامية في بلاد السودان الغربي التي انتشر بها لأنه مذهب يهتم بمناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والثقافية كافة .

وقد تقلص المذهب المالكي في الحجاز مهد ظهوره ، ولكنه لقي انتشاراً واسعاً في بلاد المغرب والأندلس ثم السودان الغربي ، حيث توطدت أركانه ، وقويت دعائمه ، حتى أصبح هذا المذهب هو المذهب السائد في تلك الربوع . ويرجع هذا الانتشار إلى ما عرف عن إمامه من تمسكه بنصوص وتشريعات الكتاب والسنة ، ومحاربة البدع ، بالإضافة إلى تشبثه التام بآثار الصحابة والتابعين[١] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن المذهب المالكي دخل إلى إفريقية خلال الفترة المبكرة من تاريخ هذا المذهب، وأثناء حياة الإمام مالك نفسه ، وذلك على أيدي تلامذته من تلك المنطقة ، ونذكر منهم على بن زياد المتوفى عام (١٨٣هـ/ ٧٩٩م)[٢] الذي يعتقد أنه أول من أدخل المذهب إلى بلاد إفريقية والمغرب، بالإضافة إلى البهلول بن راشد (١٢٨-١٨٣هـ/ ٧٤٠-٧٩٩م)[٣] وعبد الله بن فروخ (١١٠-١٧٦هـ/ ٧٢٨-٧٩٢م)[٤] الذي أخذ عن الإمام مالك نفسه ، وأخذ عنه مالك بعض

---

(١) عمر الجيدى : محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي ، منشورات عكاظ ، مطبعه النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ١٩٨٧م ،ص٢٤ ،٢٦.

(٢) أبو العرب تميم القيرواني :طبقات علماء إفريقية وتونس ،تحقيق علي الشامي ونعيم حسن الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٥م ، ص ١١٢.

(٣) البهلول بن راشد : هو" أبو عمرو ، كان ثقة ، مجتهدا ورعا ، سمع من مالك بن أنس ، ومن سفيان الثورى ، والليث بن سعد وغيرهم ، وسمع منة مشايخ إفريقية ، منهم سحنون ، وعون بن يوسف الخزاعي ، ويحيى بن سلام ، المتوفى عام(١٨٣هـ/ ٧٩٩م) ، أنظر أبو العرب تميم : مصدر سابق، ص ١٢٦، ١٣٨.

(٤) هو "أبو عبد الله بن فروخ الفارسي " فقيه القيروان الجامع بين العلم والورع والقيام بالحق ، تفقه في الشرق ، وتفقه على مالك وأبى حنيفة ، وناظر بمجلس أبى حنيفة فغلبه ، وكان اعتماده في الفقه

معارفه . ومن تلامذة الإمام مالك أيضا في إفريقية عبد الله بن عمر بن غانم[1] ١٢٨-١٩٠هـ/ ٧٤٥-٨٠٥م) وأسد بن الفرات(١٤٢-٢١٣هـ/ ٧٥٩-٨٢٨م) وغيرهم من علماء إفريقية الأوائل[2] .

في حين بدأ انتشار المذهب المالكي إلى المغرب الأقصى في عهد إدريس بن عبد الله(١٧٢-٢١٣هـ/ ٧٨٣-٨٢٨م)[3]، مع أنه لم ينتشر هنالك بشكل كبير إلا ابتداء من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ،على أيدي دارس بن إسماعيل المتوفى عام (٣٥٧هـ/ ٩٦٧م) الذي تعتبره بعض الروايات أول من جاء بمدونة الإمام سحنون إلى تلك البلاد[4] .

أما الأندلس التي كان أهلها على مذهب الإمام الاوزاعى ، فقد انتشر بها المذهب المالكي أيضا بعد أن ارتحلت جموع غفيرة من طلبة الأندلس لتلقى العلم والفقه على يد مالك بن أنس، ومنهم عبد الرحمن المعروف بشبطون المتوفى عام(٢١٢هـ / ٨٢٧م) الذي أدخل الموطأ إلى تلك البلاد[5]، وكذلك سعيد بن أبى هند الذي أطلق عليه الإمام مالك (حكيم الأندلس)، والفقيه سعيد بن عبدوس

والحديث علي مالك ، ثم رجع للقيروان وانتفع به خلائق ، روي عنه مسلم وغيره ، أنظر محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية،علق عليه عبد المجيد خيالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١، ٢٠٠٢م، جـ١ ، ص ٩١.

(١) محمد زينهم محمد : الإمام سحنون ، دار الفرجانى ، القاهرة ١٩٩٢، ص ١١١.

(٢) حسين مراد:المذهب المالكي في السودان الغربي، مجلة الوقائع التاريخية، مركز البحوث والدراسات التاريخية، جامعه القاهرة، يناير ٢٠٠٦، ص ٥٣.

(٣) ابن عذارى:" أحمد بن محمد بن عذارى المراكشي "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، مكتبة دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٠م ، جـ٢ ، ص١٠٠، ١٠١.

(٤) عمر الجيدي : محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي ، منشورات عكاظ ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، ١٩٨٧م، ص ٢٤، ٢٦.

(٥) القاضي عياض : مصدر سابق ، ص ١١٧.

المتوفى عام (١٨٠ هـ / ٧٩٦م) الذي تزود من مدرسة المدينة وعمل على نشر المذهب المالكي حتى وفاته ، و أصبح لهذا المذهب الغلبة في الأندلس بفضل هذه الجهود . وفي عهد الأمير الأموي هشام بن عبد الرحمن الداخل(١٧٢-١٨٠هـ / ٧٨٨- ٧٩٦م)[١] تم التمكين للمذهب المالكي في هذه البلاد ، بعد أن حمل الناس على الالتزام بمذهب الإمام مالك . فظهرت المصنفات المالكية سواء في السند أو المتن أو عن مناقب الإمام مالك و تلاميذه[٢] ، بالإضافة إلى ظهور كتب النوازل والفتاوى التي تتضمن أحكاماً مالكية ، حتى أصبح القضاة لايفتون إلا بالمذهب المالكي . ومن هنا هيمن فقهاء المالكية على الثقافة الأندلسية حيث أصبح هذا المذهب يشكل عمقاً ثقافياً وعملاً تشريعياً منظماً[٣] .

وهكذا أعانت المصادر في التحديد الزمني لانتشار المذهب المالكي في إفريقية والمغرب الأقصى والأندلس ولكن هنا يختلف الأمر بالنسبة لبلاد السودان الغربي ، حيث أن المادة المصدرية تعدّ معدومة لتعيين التحديد الزمني لانتشار المذهب المالكي في تلك البلاد . ويزداد الأمر صعوبة مع رصد بعض المصادر لتحركات دعاة المغاربة الذين اتجهوا إلى السودان الغربي لنشر الإسلام بين السودانيين خاصة أن هؤلاء الدعاة ينتسبون إلى جماعات وفرق إسلامية متعددة شملت السنة والشيعة والخوارج[٤].

---

(١) ابن عذارى: مصدر سابق ، ص ٦٦.

(٢) Jose Lopez Ortiz: la recepcion de la Espana a anurio do historio del dercho esponol lomo Madrid _١٩٣٠,p٨٠.

(٣) السيوطي : تزيين المماليك بمناقب سيدنا الإمام مالك ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٣٢٥هـ ، ط١ ،ص٣٦.

(٤) حسين مراد :المذهب المالكي في السودان الغربي، ص ٥٤.

ولذلك تحتم سلامة المنهج قبل تناول الأدوار التي لعبها فقهاء المالكية بالسودان الغربي، الحديث عن كيفية دخول المذهب المالكي إلى تلك البلاد ، أي محاولة التحديد الزمني لانتشار هذا المذهب في تلك البلاد .

- بدايات دخول الإسلام في بلاد السودان الغربي :

يرتبط دخول الإسلام إلى منطقة السودان الغربي بطبيعة العلاقات بين شمال الصحراء وجنوبها والتي كان لها أكبر الأثر في دخول الإسلام من الشمال الإفريقي صوب الصحراء الكبرى إلى بلاد السودان الغربي[١] ،حيث لم تكن الصحراء حاجزا بين بلاد المغرب وبلاد السودان . فقد لعبت الصلات التجارية دوراً بارزاً في توسيع شبكة الاتصالات بين المنطقتين ، ومن ثم تسرب الإسلام إلى بلاد السودان .

وترجع هذه الصلات إلى ما قبل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ، وعلى الرغم من أن طابع وحجم الاتصالات التجارية قبل الإسلام يمثل إشكالية ، إلا أن وجود اتصالات متنوعة عبر الصحراء الكبرى هو أمر ثابت من خلال سلسلة من النقوش الصخرية التي تظهر بها عربات تجرها الخيول . وتتبع هذه النقوش طريقاً يبدأ من وادي درعة[٢] مرورا

---

١)) الحاج مرحبا : "محمد المفتى مرحبا "فتح الحنان بأخبار السودان" ،معهد البحوث والعلوم الإنسانية، نيامي ، النيجر ، رقم ١٠٨، ص ٢٤ب.

Myth and Metrology: The Early Trans-Saharan Gold :Timothy F. Garrard Trade, The Journal of African History, Vol. ٢٣, No. ٤ (١٩٨٢), Cambridge University press,p٤٤٣.

(٢) درعة مدينة قاعدتها تيومتين ، يجرى بها وادي درعه ويوفر جبل درعه للمدينة الحصانة ، والمدينة عامرة بها أسواق جامعة ، ويقدم البكري وصفا للطريق الممتد من وادي درعة إلى الصحراء ثم إلى بلاد السودان .أنظر البكري "أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م" ، المسالك والممالك ، حققه جمال طلبة، دار الكتاب العلمية ، بيروت ،ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م ، جـ٢، ص ٣٥١،٣٥٠.

بأدرار[١] في موريتانيا الحالية لينتهي في الدلتا الداخلية لنهر النيجر . كما نجد طريقا آخر تشير إليه النقوش الصخرية يعبر الصحراء الكبرى من جنوب تونس وخليج سرت ويمر بجبال الأحجار في الجزائر حاليا ، ليصل إلى نهر النيجر نحو مدينة جاو[٢] التي تعد أقدم حواضر بلاد السودان الغربي[٣] .

وبعد انتهاء الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب استمر التواصل بين شمال الصحراء الكبرى وجنوبها ، إذ تمكن التجار المسلمون من التوغل في مدن المغرب المختلفة إلى المراكز التجارية السودانية ، وساعد هذا التوغل على تنشيط تجارة الصحراء والالتقاء والاختلاط بسكان السودان والتأثير عليهم مما أسهم في انتشار الإسلام بينهم[٤].

وكان نتيجة لازدياد النشاط التجاري أن ازداد انتشار الإسلام في بلاد السودان الغربي ، فالتجارة تمت في ظل الإسلام ، فخدمها الإسلام وخدمته ، وأصبح الإسلام والتجارة يرتبطان إلى حد كبير[٥] ، وكان التجار إلى جانب مزاولة

---

(١) إدرار مدينة تقع شمال السنغال المتاخمة للصحراء الكبرى في موريتانيا الحالية ، كانت مهداً لقبيلة لمتونه ، وهذه المدينة فقيرة لا يزرع فيها غير الشعير والنخيل .أنظر دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الأول مادة إدرار ،ص ٥٣٤، ٥٣٥.

(٢) مدينة جاو تقع عند بداية الثنية الثانية لنهر النيجر ، مدينه قديمه تتكون من مدينتين ، وما تزال آثارها قائمة حتى الآن ،وقد أصبحت المدينة منذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي عاصمة صنغى ، ارتبطت هذه المدينة مع إفريقية عبر طريق يمر بتادمكة ، أنظر البكري : مصدر سابق ،ص٣٧٢ ، أحمد الشكرى : الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطوريه مالي ، ص١٠٢.

(٣) Hunwick j ,o : Les rapports intellectuals entre le Maroc et L , Afrique sub –saharienne a travers les ages, publications de L ,Institut des etudes Afriaines , Rabat ١٩٩٠,p٨.

(٤) صباح إبراهيم الشيخى : النشاطات العربية عبر الطريق الصحراوي الغربي ، مجله معهد الدراسات والبحوث العربية ، بغداد ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ، ص ٥٢.

(٥) أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي ،مكتبة النهضة المصرية ،١٩٧٣م، جـ٥،ص٢٠٤.

البيع والشراء مع الأهالي يقومون بنشر الإسلام متخذين الإسلام أساساً في تعاملاتهم ، وكان سلوكهم وأمانتهم تجذب الأهالي لهذا الدين .[١] واستنادا إلى المصادر المتاحة بدأ الإسلام يتسرب إلى الصحراء منذ القرن الأول الهجري / السابع الميلادي ، ففي هذا القرن بدأت المحاولات الأولى لنشر الإسلام و معرفة الطرق الصحراوية، وكان هذا في الولاية الثانية لعقبة بن نافع الفهري عام (٦٢هـ/ ٦٨١م) والذي توغل إلى مدينه نول[٢] على ساحل المحيط الأطلسي في أقصى الغرب[٣]، ثم تابع زحفه حتى وصل إلى مدينه تارودانت[٤] ، ثم عمد إلى بناء مسجد في مدينه ماسة[٥] مما يعنى بدء انتشار الدعوة الإسلامية في أقصى جنوب المغرب الأقصى

---

(١) حسن إبراهيم حسن :انتشار الإسلام في القارة الإفريقية ،مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤، ص٧٣. الرقيق " أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق" : قطعه من تاريخ إفريقيه والمغرب ، تحقيق عبد الله العلى الزيدان ، عز الدين عمر موسى ، دار الغرب الإسلامي ، ط١، ١٩٩٠م ، ص ١٦.

(٢) مدينة نول آخر بلد الإسلام ، وأول العمران من الصحراء ،ومن مدينة نول إلى مدينة درعه ثلاث مراحل أنظر ، البكري : مصدر سابق ، ص٣٤٩، ٢٧٢.

(٣) المالكي "أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي المتوفى عام (٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م)": رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، تحقيق بشير البكوش ، دار الغرب الإسلامي ، ط١٩٩٤،٢م، جـ١ ، ص٤٠.

(٤) ويقول الإدريسي عن مدينة تارودانت :"من أرض درعه إلى بلاد السوس الأقصى ثلاثة أيام ومدينته هي تارودانت ، وبلاد السوس قرى كثيرة وعمارتها متصلة بعضها ببعض " كما يقول : "وبين مدينة السوس أعنى تارودانت وتيويوين ثمانية أيام في جنات وبساتين وكروم وأشجار ""ومن مدينة السوس إلى مدينة أغمات تسع مراحل في قبائل من البربر المصامدة " ، أنظر الإدريسى " محمد بن محمد بن عبد الله إدريس الحمودى الحسنى المعروف بالإدريسي ،من علماء القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، طبع مدينة ليدن المحروسة بمطبعة بريل ، ١٨٦٣م ، ص ٦٠، ٦٣.

(٥) وترسم أيضا "ماست" وينسب إليها وادي ماسة : المالكي : رياض النفوس ، جـ١ ، ص ٤٠،ويقول الحميري : "ماست نهر عظيم في بلاد السوس الأقصى بالمغرب يصب في البحر المحيط ، جريه من القبلة إلى الجوف كجري نيل مصر ، عليه قرى متصلة وعمارات كثيرة وبساتين وجنات " أنظر الحميري :"محمد بن عبد المنعم الحميري المتوفى عام (٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م) ، الروض المعطار في خبر

وبالتالي تسرب الدعوة الإسلامية إلى الصحراء الغربية مما دعا إلى تعليم أهلها أمور الدين الإسلامي علي مذهب أهل السُنة .

تابع خلفاء عقبة بن نافع جهوده في نشر الإسلام بين قبائل الملثمين ، فقد بلغ موسى ابن نصير وادي درعة و تافيلالت وانشأ مسجدا في مدينة أغمات[١] وينسب إلى حبيب بن أبي عبيدة المتوفى عام (١٢٤هـ/ ٧٤١م)[٢] الذي بعثه عبيد الله بن الحبحاب إلى المغرب غازياً في حدود سنة(١١٦هـ/ ٧٣٤م) فتح السوس الأقصى وأرض السودان " ولم يقابل أحداً إلا ظهر عليه... وسبى أناساً من قبيلة من قبائل البربر يقال لها مسوفة، في طريق بلاد السودان... ورجع سالماً "[٣].

ـ التجارة وانتشار المذاهب والنِحَل الإسلامية :

ومما يدل على قدم الصلات التجارية بين المنطقتين واستمرار الاتصالات بين شمال الصحراء وجنوبها خلال عصر الولاة بالمغرب تلك الإشارات المصدرية التي ترجع إلى الثلث الأول من القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، فالبكري المتوفى عام (٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) يذكر أن عبد الرحمن بن حبيب الفهري والى إفريقية والمغرب (١٣٠ـ١٣٨هـ/ ٧٤٧ـ٧٥٥م)اهتم بطريق القوافل لأهميته،فأمر بحفر آبار على طريق القوافل الذي يربط بين مدينة تامدلت[٤] جنوب المغرب الأقصى ومدينة

الأقطار تحقيق إحسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة ، ط١، ١٩٧٥، ص٣٣٠، ٥٢٢.

(١) ويقول البكري عنها : "الطريق من مدينة أغمات إلى السوس على ما ذكره مؤمن بن يومر الهوارى من أغمات وريكة إلى مدينة نفيس ، وهى تعرف ببلد النفيس ، كثير الأنهار والثمار ، ليس في ذلك القطر موضع أطيب منه ولا أجمل منظرا ، وهى قديمة أولية " ، أنظر البكري : مصدر سابق ، جـ٢، ص ٣٤٦، المراكشي : مصدر سابق ، جـ١، ص٣٧.

(٢) ابن عذارى : مصدر سابق ، ص ١٢٤،١٢٣.

(٣) الرقيق : مصدر سابق ، ص٧٢، ابن عذارى: مصدر سابق ، جـ١، ص٥١.

(٤) الطريق من مدينة تامدلت إلى بئر الجمالين مرحلة ، وهذه البئر عمقها أربع قامات من أنباط عبد

أودغست[١]. وكان هذا لحل مشكله ندرة المياه التي كانت تمثل عائقاً أمام حركة القوافل التجارية عبر الصحراء[٢].

كذلك ما أورده المالكي المتوفى عام (٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م) في ترجمته لسكن بن سعيد الصائغ ، إذ يذكر أنه كان يقوم بعمل السلاسل النحاسية ، ويقوم بطلائها بماء الذهب لتباع في بلاد السودان ، ولم يمدنا المالكي بأية إشارة زمنية في تحديد ميلاد أو وفاة صاحب هذه الترجمة ، والسؤال المطروح هو في أي زمن عاش سكن بن سعيد الذي كان يبيع منتجاته في السودان الغربي ؟ . ولتحديد العلاقة بين شمال وجنوب

الرحمن بن حبيب ، ومنها إلى شعب ضيق ،ثم تسير في جبل يسمى أزور ثلاثة أيام ،وطوله مسيرة عشرة أيام من أول طريق سجلماسة إلى جانب البحر المحيط ، ثم تسير إلى بئر كبيرة تسمى وين هيلون ، ثم تمشى ثلاثة أيام في أرض صحراء ، ثم تسير منها إلى بئر أنبطها عبد الرحمن بن حبيب و احتفرها في حجر أدعج صلب طولها أربع قامات مرحلة ، ثم تسير منا إلى بئر يقال لها ويطونان ، وهى كبيرة لا تنزف ، ماؤها زعاق يسهل شاربوه من الناس والأنعام ، وهى من عمل عبد الرحمن بن حبيب ، وطولها ثلاث قامات ، ثلاث مراحل ثم تمشى منه إلى أربع مراحل إلى موضع يقال له أوكازنت و بها الماء على ذراعين وثلاث ، وبهذا الماء يجتمع جميع طرق بلاد السودان .أنظر البكري : مصدر سابق ، جـ٢، ص ٣٤٣،٢٤٢، أحمد إلياس حسين : العلاقات بين مملكة غانا والمغرب العربي فيما بين القرنين الثاني والخامس الهجريين / الثامن والحادي عشر الميلاديين، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي ، جامعة القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، قسم التاريخ ، ١٩٨٢م، ص ٥١، ٥٢.

(١) أودغست مدينة قديمة تقع في جنوب غرب الصحراء الغربية ، وهى وادي عامر بين جبلين ، وتقع جنوب مدينة سجلماسة ، والمسافة بينهما مسيرة خمسة عشر يوما ، وفى غربها مدينة أوليل الواقعة على ساحل المحيط الأطلسي والمسافة بينهما مسيرة شهر ، وهى مدينة كبيرة آهلة بالسكان الذين تنوعت عناصرهم ، للمزيد أنظر البكري :مصدر سابق ، جـ٢ ،ص ٣٥٥، ياقوت الحموي "شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م"معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٧م ، جـ١ ، ص٢٧٧، ٢٧٨، حسين مراد : دولة أودغست الإسلامية من القرن الثاني إلى الخامس للهجرة ، القرن الثامن إلى الحادي عشر للميلاد) ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ،نُشر في العدد ٤٦ ، ٢٠٠٨ ، ص ٤ ،١٧، ٥، ١٨.

(٢) حسين مراد :المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص٥٥.

الصحراء وللإجابة على هذا السؤال علينا أن نرجع إلى أبي العرب تميم المتوفى عام (٣٣٧ هـ/ ٩٤٤م) وهو الذي ترجم لهذا الصائغ أيضا فيذكر أن سكن بن سعيد الصائغ قد سمع من البهلول بن راشد المتوفى عام(١٨٣هـ/ ٧٩٩م) وبناء على هذا القول فإن هذا الصائغ كان حيا خلال النصف الثاني من القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي تقريباً ، وإن الصلات بين إفريقية وبلاد السودان تعود إلى تلك الفترة الزمنية المبكرة وهي النصف الثاني من القرن الثاني الهجري[١] .

وهذا الأمر يدفعنا إلي الاتفاق مع الرأي القائل[٢] إن السُنة في المغرب الإسلامي قد بدءوا النشاط التجاري مع السودان الغربي قبل نشأة دولتي الخوارج الصفرية في سجلماسة عام(١٤٠هـ/ ٧٥٧م) والتي تعرف بدولة بني مدرار[٣] والدولة الاباضية في تاهرت[٤] والتي تعرف بالدولة الرستمية (١٦١

---

(١) حسين مراد :الصلات بين المغرب والسودان الغربي (خلال القرن ٢-٦ هـ / ٨-١٢م) ضمن أبحاث مؤتمر الإسلام في إفريقيا والذي نظمته جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بليبيا وجامعة إفريقيا العالمية بالخرطوم ، ٢٠٠٦، الكتاب الحادي عشر ، ص ٣٧٧.

(٢) حسين مراد : المرجع سابق ، ص ٣٧٧.

(٣) وقاعدتها سجلماسة . أنظر السيد عبد العزيز : المغرب الكبير ، جـ٢ ، الدار القومية للطباعة والنشر ،القاهرة ١٣٧٦هـ/ ١٩٦٦م ، ص٥٨٣ ، ص٥٨٩ ، الحبيب الجنحاني : المغرب الإسلامي ــ الحياة الاقتصادية والاجتماعية (٣-٤ هـ/ ٩-١٠م"الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٧٨م ، ١٠٢، ١٤٦، وللمزيد عن قيام دولة بني مدرار أنظر حسين مراد: دولة بني مدرار في سجلماسة بالمغرب الإقصي (١٤٠-٢٩٧هـ/ ٧٥٧-٩٠٩م) رسالة ماجستير من جامعة القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، ١٩٨٦م ، ٦٢، ٦٣ ، ٦٤، ٦٥

(٤)الدولة الرستمية نسبة إلى عبد الرحمن بن رستم ، الذي أعلن نفسه أول إمام أباضي وهو من الخوارج الأباضية الذين نجحوا في إقامة دولة بتاهرت بالمغرب الأوسط ، واستمرت حتى عام (٢٩٦هـ/ ٩٠٨م)أنظر محمود إسماعيل : الخوارج في المغرب الإسلامي ،الدار البيضاء، المغرب ١٩٧٣م ، ص ٩٣، سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي ، دار المعارف بالإسكندرية ، ١٩٧٩م ، جـ٢، ص ٢٩٥.

ـ٢٩٦هـ/ ٧٧٧ـ٩٠٧م) وهذا يجعلنا لا نتفق مع من ذهب إلى أن التجارة عبر الصحراء كانت حكراً على جماعات الخوارج[١] وقال بعدم السماح للدول السُنية حتى بفرصة التعرف على طرق وأسرار تلك التجارة[٢] . ومن هذا يتضح أن التجار السنة ساهموا في التجارة قبل غيرهم وأن هؤلاء التجار والتجار الأباضيين ساهموا في التجارة عبر الصحراء خلال ذلك القرن.

وهكذا بدأت القوافل التجارية تجتاز الصحراء منذ القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي عبر عدة طرق من أهمها:

ـ الأول :من سجلماسة و ينطلق طريق منها إلى والاتة ومنها إلى تنبكت وجني وجاو.

ـ الثاني : من تلمسان و يمر هذا الطريق بغرداية وتوات وينتهي إلى تنبكت .

ـ الثالث : من تاهرت و ورقلة وينطلق طريق آخر منه إلى غاو مباشرة ، وهذا المسلك يتصل شمالا ببضائع الموانى الجزائرية المهمة في الشمال ، مثل جزائر بني مزغنة و بجاية وسكيكدة وغيرها .

ـ الرابع : من واحة الجريد في جنوب تونس ومنها ينطلق من هذا الطريق غالبا ما تمر قوافله بورقلة وسوف أو غدامس .

---

(١) محمد الفاسى وإيفان هريك : مراحل تطور الإسلام و انتشاره في إفريقيا ، موسوعة تاريخ إفريقيا العام اليونسكو،باريس، ١٩٩٤، المجلد الثالث ، ص٩٠. وأنظر حسين مراد :المذهب المالكي في السودان الغربي ، مرجع سابق ، ص٥٥.

(٢) Dévisse (j.) : Routes du commerce et échanges en Afrique occidentale en relation avec la Mediterranee , un essai sur le AFRique occidentale en du XIe au XVIe siècle in revue dhistoric économique et bsociale , Parise L.١, ١٩٧٢,P.٤٢/٧٣.-

ـ الخامس : من طرابلس الغرب على الساحل الليبي ومنها ينطلق طريق يمر بغدامس ويمر فرع منه بفزان و ينتهي إلى بورنو وغاو .

ـ السادس : وينطلق من مصر طريق يمر بواحة سيوة و بزويلة ثم تادمكة و ينتهي إلى جاو تنبكت[١] .

وخلال تلك الفترة لعبت القوى السياسية في المغرب دورا مهماً في تشجيع تجارة القوافل الصحراوية مع بلاد السودان ، فنجد علاقات تجارية مع دولة بني مدرار الخارجية الصفرية التي قامت عام(١٤٠هـ/ ٧٥٧م)وفى هذا العام أيضا تم بناء مدينة سجلماسة[٢] التي أصبحت عاصمة لدولتهم وكان لها الفضل بسبب موقعها الجغرافي أن تكون همزة وصل بين بلاد المغرب من جهة ، وبلاد السودان من جهة أخرى ، مما جعلها تتحكم في تجارة القوافل لمدة كبيرة عبر الصحراء الكبرى[٣] . وهكذا بدأت مشاركة الخوارج الصفرية في سجلماسة في التجارة عبر هذه الصحراء ، والراجح أن هؤلاء الخوارج لعبوا دورا في نشر الإسلام على أساس مذهبهم الخارجي الصفري .

---

(١) البكري : مصدر سابق ، ص١٨٢ .

Smith (A.): The Early States of Centeral Sudan, New York, ١٩٧١, P. ١٧,

De La Ronciere: OP .Cit., , t. ١, p. ٩٧-٩٠.

(٢) سجلماسة : إقليم يستمد اسمه من المدينة الرئيسية التي بنيت سنة(١٤٠هـ/ ٧٥٧م) وهى مدينة سهلية أرضها سبخة ، حولها أرياض كثيرة ، وفيها دور رفيعة وميان سرية ولها بساتين كثيرة ، تسكنها قبائل بربرية مختلفة ، وأهلها يسمنون الكلاب ويأكلونها ، ومن مدينة سجلماسة تدخل إلى بلاد السودان إلى غانة ، وبينها وبين مدينة غانة مسيرة شهرين في صحراء غير عامرة، وبين سجلماسة و بين وادي درعة مسيرة خمسة أيام ، أنظر البكري : مصدر سابق ، ص ٣٣٢.

(٣) اليعقوبى : "أحمد بن أبى يعقوب بن واضح ت ٢٨٤هـ/ ٩٨٢م "كتاب البلدان ، تحقيق دى خووى ، ليدن ١٨٩٢م ، ص ٣٦٠، أبن حوقل : "أبو القاسم محمد بن على النصيبى المتوفى عام (٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) صورة الأرض ، دار صادر ، بيروت ، طبعة ليدن ١٩٣٨م ، ص ٩٩.

كما ربطت العلاقات التجارية الأباضية في بلاد المغرب مع بلاد السودان بعلاقات متينة، حيث كانت القوافل التجارية الضخمة تنطلق من واحات فزان و وارجلان وغدامس و جادو وشيروس بجبل نفوسة وغيرها من المدن، تحمل معها مختلف السلع[١]. وفي نفس الوقت يقوم أفرادها بنشر الإسلام[٢] وبذلك ساهمت تلك الدولة أيضا في التجارة الصحراوية، بفضل تشجيع حكامها وإن كانت صلات تاهرت كما يبدو من المصادر الأباضية مع مدينة جاو[٣].

---

(١) ذكر الإدريسي "أن التجار يدخلون بلاد السودان بأعداد من الجمال الحاملة لقناطير الأموال من النحاس الأحمر والملون والأكسية وثياب الصوف والعمائم والمآزر وصنوف النظم من الزجاج والأصداف والأحجار وضروب من الافاوية والعطر وآلات الحديد المصنوع " أنظر الادريسي : مصدر سابق ، ص ١٢٠، ١٢١.

(٢) كانت التجارة في الدولة الرستمية حرة يقوم بها كل فرد تنزع نفسه إليها ، واشتهر كثير من التجار والأغنياء الذين عاشوا خلال هذه الفترة ،فعرفوا لكثرة تنقلاتهم بين ورجلان ووادي ريغ ، وبلاد الجريد وإقليم فزان وجبل نفوسة من جهة وبلاد السودان من جهة أخرى ، ومنهم من كان تاجرا وعالما في نفس الوقت ، ومنهم أبو عثمان المزاتي الدكى ، الذي عاش خلال القرن" ٣هـ/ ٩م"وكان يسافر إلى بلاد السودان .أنظر الدرجيني :"الشيخ أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني المتوفى عام (٦٧٠هـ/ ١٢٧١م) تحقيق إبراهيم طلاى ، الجزائر ، ١٩٤٧م، جـ٢، ص ٣٠٨، الشماخي :"أبو العباس أحمد بن أبي عثمان سعيد بن عبد الواحد الشماخي المتوفى عام (٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م) " : كتاب السير ، تحقيق محمد حسن ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، تونس ، جـ٣، ص ١٢٣، ١٢٤.

(٣) ويعتبر اليعقوبي كوكو(جاو) أهم الدول على أيامه،ويقول إنها تطلق على عاصمة الدولة ، وكانت تخضع لها عدة ممالك تدين لكوكو(جاو) بالولاء والسيادة ، وكان لأهميتها التجارية أن ارتبطت بعلاقات مع التجار المسلمين ." أنظر عبد الرحمن زكى : الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا ، مجموعة محاضرات ألقيت في معهد الدراسات الإسلامية ، مطبعة يوسف ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٤٧،٤٨ .، ومن هذه العلاقات الطيبة التي كانت قائمة بين الدولة الرستمية وبلاد السودان ، وخاصة مدينة كوكو "جاو" أن الإمام أفلح عقد مع ملك كوكو علاقات مودة فأهدى إلى هذا الملك هدية نفيسة ليوثق الصداقة بينهما ، ويشكره على ما يجده تجار بلاده من حسن المعاملة ، وانتشر الإسلام بهذه المدينة بفضل النشاط التجاري أنظر ياقوت الحموي: مصدر سابق، مادة كوكو ، ص ٣٠١

Hunwlck ,j:op.cit,,p٩ .

كما شجع الاغالبة الذين أسسوا دولتهم عام(١٨٤هـ/ ٨٠٠م)[١] رعاياهم في مدن إفريقية على المشاركة في التجارة بين شمال الصحراء وجنوبها[٢]،وقد ساعدت حيوية التجار المغاربة بالإضافة إلى دور الدويلات السياسية المستقلة والفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي والصحراء والسودان الغربي خلال القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، في تنمية الأمن على طول الطرق التجارية . وكان التجار المغاربة إلي جانب أعمالهم التجارية يقومون بالدعوة إلى الإسلام ، وقد ارتبطت التجارة وانتشار الإسلام مذاهبه في السودان الغربي كافة إلى الدرجة التي أصبح من العسير معها وضع حد فاصل بين الدور الذي قام به التجار من جهة وبين دور العلماء ودعاة الإسلام من جهة أخرى . وغالباً ما يجتمع الدور التجاري والدور الدعوى في نفس الرجل[٣] ، وبما أن هؤلاء التجار كانوا أصحاب مذاهب شتى فإنهم استثمروا اتصالهم بأهالي السودان الغربي لنشر الإسلام على أساس مذاهبهم المختلفة[٤].

واستمر تدفق الإسلام عبر الطرق التجارية مع استمرار تسرب المذاهب الدينية المختلفة إلى السودان الغربي خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي،

---

(١) نسبة إلى إبراهيم بن الأغلب ، أحد ولاة العباسين بالمغرب (القيروان) ، الذي أستقل بالمغرب وأسس دولة عرفت بالاغالبة في نهاية القرن الثاني الهجري (١٨٤ هـ/ ٨٠٠م) إلى نهاية القرن الثالث الهجري ،(٢٩٦هـ/ ٩٠٨م) ، أنظر ابن خلدون :"أبو زيد ولى الدين عبد الرحمن بن محمد " تاريخ ابن خلدون ، راجعه درويش الجويدى المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، المجلد الثاني ، ط١ ، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م ، ص١٨٤١ ، الدكتور السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ٢ ، مرجع سابق ، ص٣٧٢ ، ٤٠٦، للمزيد عن دولة الاغالبة أنظر .سعد زغلول عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص ٢٧ ،٢٨، ٢٩، ٣٠ وما بعدها.

(٢) المالكي : مصدر سابق ، جـ١، ص١٨٢، جـ٢، ص ١٠٢ .

(٣) Lewis ,l .m .: ISLAM in Tropical Africa (Oxford , ١٩٦٠) p .٢٠.

(٤) حسين مراد : الصلات ، ص٣٧٥، ٣٧٦.

بواسطة الاحتكاك التجاري في المقام الأول مع ازدياد نمو النشاط التجاري للمغاربة على اختلاف مذاهبهم ، وبفضل المنافسة بين الدويلات السياسية المستقلة من مدراريين و رستميين وأغالبة انتعشت تلك التجارة انتعاشا كبيراً، ففي العهد الأغلبي استمر خروج القوافل التجارية من إفريقية وقد وصل حجمها إلى مائة جمل بأحمالها وأعوانها[١] ، فقد كانت القوافل المغربية تتجمع في مدينة سجلماسة نحو إدرار ، وصولا إلى مدينة أودغست ثم تنطلق القافلة من أودغست إلى عاصمة غانة القديمة الواقعة علي ستة أيام من الجنوب الشرقي،أو تنطلق نحو المناطق الخصبة والعامرة بالسكان في وادي نهر السنغال أي إلى بلاد التكرور[٢] .

وفى أواخر القرن الثالث الهجري وتحديداً بين عامي (٢٩٦ــ٢٩٧هـ/ ٩٠٨ـ٩٠٩م) نجح الفاطميون الشيعة في القضاء على دولة الأغالبة ، ثم قضوا على دولتي الخوارج المدرارية في سجلماسة والرستمية في تاهرت ، ونتيجة للغزو الفاطمي الشيعي وبطشهم بالاباضية خاصة في المغرب الأوسط ، وتفرق أهل تاهرت في واحات الصحراء[٣] أصبحت لهم السيطرة على كل بلاد المغرب بعد أن قضوا على كل الدول المستقلة[٤] مما أتاح لهم السيطرة والتحكم في طرق تجارة

(١) المالكي : مصدر سابق ،جـ١ ، ص٢٣٤ ، ٢٣٥.

(٢) اليعقوبى : مصدر سابق ، ص٣٦٠.

(٣) ابن الصغير المالكي :أخبار الأئمة الرستميين ، تحقيق محمد ناصر ، وإبراهيم بحاز ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٩٨٦ ، ص٧١. أنظر النفوسى "سليمان بن الشيخ عبد الله الباروني ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠م"الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية ، مطبعة الأزهار البارونية، بدون تاريخ ، جـ٢ ، ص١٣، وللمزيد عن دولتي الرستميين والمداريين الخارجتين بتاهرت و سجلماسة في المغربين الأوسط والاقصي أنظر ، محمود إسماعيل : أثر الخوارج في الحياة السياسية في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، رسالة دكتوراه منشورة ، كلية آداب جامعه القاهرة ١٩٧٠م.

(٤) عز الدين عمر موسى : دراسات إسلامية غرب افريقية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ،١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م ،ص٥٧ ، ص٥٨ . إيقان هربك : بروز الدولة الفاطمية ، تاريخ إفريقيا العام ، المجلد الثالث ، اليونسكو١٩٩٤، ص٣٥٨.

الصحراء ، وبذلك احتكروا تجارة الصادر والوارد مع السودان الغربي، وبسبب هذا الوضع تحالف الأباضية وأهل السنة ضد الفاطميين من أجل تجارة الصحراء[1]

وقد عاش المذهب المالكي خلال القرنين الثالث والرابع الهجري تجربة مريرة قبل أن يحقق انتصاره النهائي سواء على المستوى الشعبي أو على مستوى السلطة الحاكمة ، فبعد محنة الإمام سحنون بن سعيد(١٦٠-٢٤٠هـ/ ٧٦٦- ٨٥٤م)[2]مع الأغالبة وفقهائهم الأحناف خلال القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي وهي المحنة الخاصة بخلق القرآن[3] دخل فقهاء المذهب المالكي بإفريقية خلال القرن

---

(١) الحبيب الجنحاني : دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي ، مرجع سابق ، ص١٦٠، ص١٦٦. كانت الدولة الفاطمية تسعى جاهدة من أجل بسط نفوذها على العالم الإسلامي كله بشكل عام ، لذلك كانت رغبة خلفائها في الاستفادة من المبادلات التجارية عبر الصحراء كبيرة ، ليتسنى لهم الحصول على الذهب من أجل تمويل فتوحاتهم وضرب عملاتهم ،وبالتالي كانت تلك الدولة حريصة على بسط نفوذها على المناطق الواقعة على مسالك تلك التجارة ومدن المرافئ المرتبطة بها ، فدخلت في صراع مع الدولة الأموية بالأندلس بقصد السيطرة على تلك المناطق ، خاصة ما يقع منها على طرق المحور الغربي ، وقد تحزب سكان المنطقة حول الدولتين المتصارعتين ، فكانت صنهاجة وكتامة إلى جانب الفاطميين ، والى جانب الأمويين زناته المتضررة من الدولة الفاطمية ، وقد تمكنت الدولة الفاطمية وحلفاؤها من تحقيق انتصارات عسكرية كبيرة كادت أن تقضي على طموحات خصومها آلاأن انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر أدى إلى حسم الصراع لصالح الأمويين وزناتة.

(٢) هو عبد السلام بن سعيد المشهور بسحنون(١٦٠-٢٤٠هـ/ ٧٧٦-٨٥٤م) الفقيه القاضي الأستاذ المعلم ،الذي درس على خيرة شيوخ عصره في إفريقية ، وذهب يطلب ليعلم من الإمام مالك بن انس فلم يدركه فدرس على أبن الماجشون من شيوخ المدينة، ثم كر راجا إلى مصر حيث درس على يد شيخها عبد الرحمن بن القاسم العتقى وأشهب بن عبد العزيز ، للمزيد،أنظر عن الإمام سحنون ، محمد زينهم محمد عزب ، مرجع سابق ، ص ٧.

(٣) حدثت محنة خلق القرآن ، وكاد يذهب الإمام سحنون ضحيتها ، والذي تولى امتحان القضاة والفقهاء في إفريقية محمد بن أبي الجواد ، الذي عرف بسياسة التقرب إلى أمراء بني الأغلب من أجل الاحتفاظ بالمنصب "قاضي إفريقية " كما كان يتميز بجهلة في إصدار الإحكام والفتاوى ، كما كان يستخدم ذريعة امتحان القضاة والفقهاء في التخلص من المعارضين أمثال سحنون ، فتعرض سحنون

التالي في صراع حاد وعنيف مع الدولة الفاطمية الشيعية وقد استغل الخلفاء الشيعة وفقهاؤهم قوة السلطة لإرهاب المناوئين لهم سياسياً ومذهبياً وعملوا على قمعهم في أفريقية[١]. على أن وقوف أهل إفريقية وراء فقهائهم المالكيين حد من تسلط الشيعة، وخفف من ممارساتهم الإرهابية التي تستهدف فرض مذهبهم، ولم تقتصر المواجهات بين المالكيين والشيعة على استعمال العنف والسيف[٢]، بل امتدت لتشمل المناظرات الكلامية بينهما، وقد احتفظت لنا كتب طبقات المالكية بنماذج من تلك السجلات التي غالبا ما كانت تنتهي بتفوق فقهاء المذهب المالكي وانتصارهم، مما أدى في نهاية الأمر إلى قيام الثورات ضد الفاطميين[٣] وإذا كان الفاطميون قد عجزوا عن نشر أو فرض مذهبهم الشيعي في بلاد المغرب فقد عجزوا أيضاً عن مجرد التعريف بمذهبهم الشيعي في بلاد السودان الغربي.

وعلى أية حال ترتب على الغزو الفاطمي لبلاد المغرب انهيار دولة الخوارج الصفرية في سجلماسة، بل وحدث اندثار لمذهبهم، ولكن المذهب الأباضي لم يندثر برغم انهيار الدولة الرستمية، ولكنه انحصر في بعض الجهات المتناثرة مثل جبل

لظلم كثير، فكانت مقاطعة الناس له مجبرين بأمر الأمير والقاضي، وقطع ملابسه لولا أن أسرعت المنية بالأمير أحمد بن الأغلب، ولولا تعاطف ابنه أبو العباس محمد مع سحنون لضاعت حياة علم من أعلام المذهب المالكي، للمزيد عن هذه المحنة أنظر عن" محنه فقهاء المالكية مع الاغالبة والشيعة " أنظر عياض :ترتيب المدارك، جـ ٤، ص٦٢. ابن عذارى :البيان جـ١ ، ص٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٨١ .

(١) أحمد الشكرى : مرجع سابق، ص١٢٤.

(٢) حاول الخوارج استرداد سلطانهم والدفاع عن مصالحهم بكل وسائل العنف التي امتلكوها، متحالفين في ذلك مع خصوم الفاطميين في المغرب و الأندلس، وخير ما يصور ذلك ثورة أبى يزيد مخلد بن كيداد الاباضى الذي أوشك أن يقضى على خلافة الفاطميين في إفريقية، غير أن ثورته سحقت في سنة ٣٣٦هـ / ٩٤٦م .ولم يكن مصير ثورة أبى خرز يعلى بن زلتاف في سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٨ ـ ٩٦٩م بأحسن حالا من ثورة أبى يزيد، أنظر بيعة أبى يزيد للناصر الأموي عند المراكشي : مصدر سابق، جـ٢ص ٣٣١، ٣٣٠، الشماخى : مصدر سابق، ص ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١.

(٣) أنظر عز الدين عمر موسى : مرجع سابق، ص٥٨.

نفوسة ، ورجلان ، ورقلة[١] فقد ظل أتباعه يمارسون نشاطهم التجاري وإن قل هذا النشاط بعض الشئ ، كما أدى سقوط الدولة الرستمية الاباضية إلى إضعاف المذهب وأتباعه في السودان الغربي[٢].

ومع هذه الأحداث التي واكبت رحيل الفاطميين إلى مصر ، نجد نازلة تدل على استمرار الصلات التجارية بين المغرب وبلاد السودان الغربي خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، كما تدل أيضاً على علو شأن تجار المالكية وعودة نشاط تجارتهم كسالف عهدهم من حيث القوة والانتشار، و تظهر مدى إسهام تجار المالكية في التجارة عبر الصحراء. وتعتمد معلوماتنا عن التجارة عبر الصحراء في هذا القرن على ما جاء عند الونشريسى[٣] من نازلة أفتى فيها فقيه القيروان أبو الحسن القابسى (٣٢٤-٤٠٣هـ/ ٩٣٥-١٠٢١م)[٤] ، وهذه النازلة بها دلالة على التبادل التجاري بين إفريقية وبلاد السودان في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي[٥].

---

(١) حسين مراد : المذهب المالكي ، ص٥٧.

(٢) المرجع السابق والصفحة .

(٣) الونشريسى:" أبو العباس أحمد بن يحيى المتوفى عام(٩١٤ هـ/ ١٥٠٨ م) ": المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب ، حقق تحت أشرف ، محمد حجي ، دار الغرب الاسلامى ، بيروت ، بدون تاريخ ،جـ٩، ص١١٦.

(٤) هـو : " أبـو الحسـن عـلى بـن محمـد بـن حلـف المغـافرى المعـروف بالقابسـى المتـوفى عـام (٤٠٣هـ/ ١٠١٢م) وهو من كبار فقهاء المالكية في القيروان خلال النصف الثاني من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وكان مشهورا بسعة علمه ، ومن بين شيوخه محمد عبد الله بن أبى زيد القيرواني ، أشتهر القابسى بتضلعة وسعة معرفته في علوم الحديث والفقه والكلام ، وله مؤلفات عديدة أورد منها ابن فرحون سبع عشرة عنوانا ، وانتهت إليه رئاسة المذهب المالكي في القيروان ، الونشريسى : مصدر سابق ،جـ٩، ص١١١.

(٥) ونص الفتوى كما يلي : "سئل القابسى عمن دفع إلى رجل قرضا ليمضى به إلى ناحية تادمكة وهى بلاد السودان وشهد الشهود .فسافر إلى تادمكة ومنها إلى غانة وأودغست ، وتأهل هناك وولد له ،

وهناك فتوى أخرى تدور حول نزاع بشأن ميراث تاجر من إفريقية توفى في بلاد السودان دون أن يترك وصية[١] و تتناول هذه النازلة التي جرت في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي التجارة بين بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي عبر الصحراء الكبرى ، وتشير إلي بعض المراكز التجارية مثل تادمكة ، وأودغست ، وغانة ، وقد ذكر البكري هذه المراكز في وصفه للطريق من سجلماسة إلى غانة[٢] ، كما ارتبط بالنشاط التجاري بين المنطقتين استقرار بعض المسلمين لمدة طويلة في بلاد السودان ومصاهرة أهلها وبالتالي انتشار الإسلام بفضل التأثير الطويل والسلمي للتجار المسلمين المغاربة[٣].

ويشهد القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي تطورات أسهمت في ارتفاع شأن المذهب المالكي في إفريقية والمغرب، كان أولها وصول المعز بن باديس إلى الحكم سنة (٤٠٦ ـ ٤٥٤ هـ / ١٠١٦ ـ ١٠٦٢م) وهو أمير إفريقية ، فالمعز هو الذي طهر الله تعالى على يديه إفريقية من مذهب الشيعة...وحمل الناس في أيامه على مذهب الإمام مالك وقطع ماعداه.

وأقام أحدى عشرة سنة من يوم خروجه من البلد الذي أخذ فيه المال ، وعلى هذا العامل ديون باع القاضي فيها ماله ليقسمه بين الغرماء فقام من له الحق القيام بهذا القرض هل يضرب له مع الغرماء " أنظر الونشريسى : مصدر سابق ، جـ٩، ص ١١٦ .وقد أجاب القابسى في إجابته على تحويل المال الذي أستلمه الوكيل وفق عقد القراض غالى دين مما يعطى صاحب القراض الحق في اقتسام العائد مع بيع أملاك الوكيل مع بقية الدائنين ، أنظر حسين مراد : الصلات بين بلاد المغرب والسودان الغربي ، ص ٣٧٦.

(١)ميشيل برت : فتويتان من أواخر القرن الرابع الهجري ، تتعلقان بالتجارة عبر الصحراء ، بحث في مجلة البحوث التاريخية ، مركز جهاد الليبيين ، المجلد الأول ، السنة الثالثة ، يناير ١٩٨١م ، ص٦٢.

(٢)البكري : مصدر سابق ، ص١٤٩، ١٥٩، ١٨١، ١٨٢.

(٣) Levizion , N : Western Maghrib and Sudan ,in the Cambridge History of Africa, vol٣, Cambridge , London , ١٩٧٧,p ٣٨٩.

وإذا كانت المصادر تختلف حول التاريخ الذي أزال فيه الدعوة الشيعية من إفريقية وإعادة المذهب السني المالكي إلى سابق عهده فأن بعضها يرجع الأمر إلى بداية حكمه لإفريقية ، والبعض الآخر يرجع تاريخ هذا الأمر إلي عام (٤٣٥هـ/ ١٠٤٤م) وعندما قطع الدعوة للفاطميين وأظهر ولاءه للعباسيين[١].

وقد استمرت علاقة بلاد السودان مع إفريقية في عهد المعز بن باديس (٤٠٦-٤٥٤ هـ/١٠١٦-١٠٦٢م) إذ وصلته من تلك البلاد هدية سُنية سنة(٤٢٣هـ/ ١٠٣٢م)، كما كان هناك هدايا أخري ويصف ابن عذارى هذه الهدية بقوله : "هدية جليلة فيها رقيق كثير وأنواع من الحيوان "[٢]، والرقيق الذي وصل مع هذه الهدية يعد السلعة الثانية ذات الأهمية بعد الذهب الذي كان يُجلب من بلاد السودان الغربي إلى بلاد المغرب[٣] ، ولم تعين المادة المصدرية المتاحة الجهة التي وصلت منها الهدية هل هي غانة أم مالي أم بلاد التكرور أم صُنغى ؟.

أما العامل الثاني لارتفاع شأن المذهب المالكي في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي هو قيام دولة المرابطين[٤] التي قامت بدعوة الحق ورد المظالم

---

(١) حيث كانت في إفريقية مذاهب الصفرية والشيعية والأباضية والنكارية والمعتزلة ، ومن مذاهب أهل السنة الحنفية والمالكية ولم يبق في أيامه إلا مذهب الإمام مالك ، أنظر ابن عذارى المراكشي : مصدر سابق ، ص٣٩٧ ،ابن أبى دينار : مصدر سابق ، جـ٢،ص١٠٣، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ،راجعه درويش الجويدي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، جـ٢ ،٢٠٠٧،ص١٨٦٨.

(١) ابن أبى دينار : المصدر السابق : ص١٠٥.

(٢) ابن عذارى المراكشى : مصدر سابق ،جـ٢ ص ٣٩٦، ٤٠٠.

(٣) الإدريسي : مصدر سابق ، ص ١٢٠ ،١٢١ .

(٤) - عن المرابطين ودولتهم أنظر : حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ، النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٧م، أيفان هربك وجان دفيس :المرابطون :تاريخ أفريقيا العام ،اليونسكو ، جـ٣، ص ٣٧١-٤٠٢، وداد نصر محمد لسيد الطوخي : مدينة تنبكت منذ نشأتها حتى دخول السعديين ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي ، جامعة القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ١٩٨٦.

وقطع المغارم، وهم على السنة متمسكون بمذهب الإمام مالك[١] ونجحوا في توحيد المغرب الأقصى ومد نفوذهم إلى بلاد الأندلس . وقد شكلت تجارة الصحراء أهمية تجارية للمغرب في عهد هؤلاء المرابطين ، حيث نشطت الحركة التجارية في هذه الفترة لتوافر عوامل عديدة منها سيطرة المرابطين على مساحات واسعة من الصحراء مما أدى إلى استقرار الأوضاع السياسية في هذه المناطق[٢]. وكان لسيطرة المرابطين على تلك المساحات أكبر الأثر في إحكام السيطرة على الطرق التجارية المهمة ، وخاصة الطريق الذي يصل مابين سجلماسة في الشمال إلى أودغست وبلاد السودان في الجنوب مما ساعد على تأمين هذه الطرق ، وبالتالي ازدهار حركة التبادل التجاري مع بلاد السودان ، وازدهرت معها المدن التجارية لكل من السودان الغربي وبلاد المغرب، وما بينهما من محطات متناثرة على الطرق التجارية في قلب الصحراء[٣] ، وليس أدل على العلاقات الطيبة من إقامة علاقات سياسية ودية مع بعض القوى السودانية مثل إمارة التكرور ودولة غانة[٤].

---

(١) البكري : مصدر سابق ، ص ٣٥١.

(٢) حسين مراد: الصلات بين المغرب والسودان الغربي ، ص ٣٨٢.

(٣) BOVill (E.W.) : The golden trade of the Moors , London , ١٩٦١. P٨٠. ,Oliver(R) &Fage (J.B.) :A Short History of Africa , Benguin book , ١٩٧٣ ,p٨٧.

(٤) وليس أدل على هذه العلاقات الطيبة القائمة بين الطرفين ، من ذلك الكتاب الذي أطلع عليه صاحب الاستبصار ، وقال : "ووقع إلى كتاب ملكها ،أي ملك غانة ، إلى يوسف بن تاشفين ، وأن لم يشر صاحب الاستبصار إلى فحوى الرسالة ، أنظر الاستبصار في عجائب الأمصار ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ،الإسكندرية ١٩٥٨م،ص ٢٢٠

David Conrad and Humphrey Fisher : The Conquest That Never Was: Ghana and the Almoravids, ١٠٧٦. I. The External Arabic Sources History in Africa, Vol. ٩ (١٩٨٢), African Studies Association,p٢١٢٣.

وهكذا قامت دولة المرابطين على المذهب المالكي السني وقامت بالقضاء على بقايا المذاهب المخالفة للسنة وخاصة المذهب الأباضي ، وعملوا علي تمسك أهل المغرب بالمذهب المالكي و إتباعهم له وإلزامهم بفقه صاحبه ، كما منع حكام المغرب من المرابطين الناس من الخروج عنه[١] .

وخلاصة القول ، إذا كان للمرابطين دور كبير في تصحيح المفاهيم الإسلامية لدى المسلمين في دولتهم ، وتخليص هؤلاء مما ساد بينهم من البدع والخرافات والعادات والتقاليد والرواسب الوثنية ، فقد تمكنوا من تحقيق الوحدة المذهبية في المغرب الإسلامي، بعد أن فشلت الفرق الإسلامية المتطاحنة من خوارج وشيعة وغيرهما في الوصول إلى ذلك الهدف ، كما قاموا بدعم الدعوة الإسلامية وتعميق هذا الدين بصفة عامة في المنطقة ، والمذهب المالكي بصفه خاصة في نفوس العامة بالمغرب ونشره بين صفوف فئات واسعة من سكان السودان الغربي[٢] .

---

(١) ابن أبى الزرع : "أبو الحسن على بن عبد الله المتوفى عام (٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م)" : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، طبع مدينة أوبسالة بدار الطباعة المدرسية ، ١٨٤٣م ، ص١٢٩.

(٢) Hiskett ,M : The development Of lslam in west Africa , logman ,London١٩٨٤,p٢٣.

محمود إسماعيل : فكرة التاريخ بين الإسلام والماركسية ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٨٨م ، ص٦١،٥٩. وللمزيد عن دولة المرابطين أنظر ، عصمت هانم عبد اللطيف دندش : دور المرابطين في نشر الإسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ١٩٧٥م .عبد الباقي محمد أحمد كبير : المرابطون ودورهم في نشر الإسلام في غرب إفريقيا ، رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية جامعه الأزهر ، ١٩٨٤.

وقد أسهمت هذه الجهود في تشبث أهلُ المغرب بالمذهبْ المالكي بإتباعهم له والتزامهم فقه صاحبه ، كما منع حكام المغرب من المرابطين الناس من الخروج عنه ، وهذا الأمر من الشهرة بحيث لا يحتاج إلى برهان عليه[١] .

إلي جانب هذا كله لم يترك المسلمون مسؤولية نشر الإسلام في السودان الغربي للتجار المحترفين ، فإلى جانب انتشاره بشكل عفوي فأن الجاليات الإسلامية في المناطق السودانية كانت تضم مع التجار العارفين والراغبين بالقيام بالدعوة إلى الإسلام بمؤازرة أنشطتهم التجارية مجموعات من العلماء والفقهاء المتفرغين لنشر الإسلام والدعوة إليه[٢].

وكانت الجاليات العربية المسلمة منتشرة في مختلف مناطق السودان الغربي، حيث كانت توجد جاليات كبرى أساساً في العواصم مثل تلك التي كانت موجودة بشكل ملحوظ في عاصمة غانة على امتداد قرون قبل دخول الإسلام رسميا لها وقد قال البكري : عن تلك الجالية في منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي أثناء حديثه عن تلك العاصمة " ...ومدينه غانة مدينتان ...إحداهما المدينة التي يسكنها المسلمون ،وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا أحدهما يجتمعون فيه و بها الأئمة والمؤذنون و الراتبون ، وفيها فقهاء وحملة علم وفى مدينة الملك مسجد يصلى فيه من يفد عليه من المسلمين على مقربة من مجلس حكم الملك ..."[٣] ، كما كانت هناك جاليات مماثلة ، ولو أنها أصغر حجما في تكرور وسلى وبريسى وكوغه وكوكو"[٤].

---

(١) الونشريسى : مصدر سابق ، جـ١ ، ص١٦٩.

(٢) صباح إبراهيم الشيخلى وعادل محيى الدين الألوسى: تاريخ الإسلام في إفريقيا وجنوب شرق آسيا ، مطبعة التعليم العالي ، بغداد ١٩٨٩، ص٥٣.

(٣) البكري : مصدر سابق ،ص٣٦٣.

(٤) المصدر السابق ، ص٣٦٠.

وقد تساءل بعض الباحثين عما إذا كانت الأحياء الخاصة بالمسلمين في المدن السودانية قبل القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي تخص الشماليين من العرب والبربر، أم أنهم كانوا يشكلون معظم سكانها وتضم إلى جانبهم أعدادا ليست قليلة من السكان المحليين المسلمين ، مبينين أن الإجابة عن هذا السؤال صعبة ، وإن كانوا يشيرون إلى أن غالبية تلك الأحياء كانت من العرب والبربر الذين كانوا يعتقدون أن وجودهم في مدينة مستقلة عن الوثنيين أمر تقتضيه العفة ومقاييس الشريعة.

وكان الدعاة من أبناء هذه الجاليات يتوجهون بالدرجة الأولى إلى الملوك ورؤساء العشائر الذين كانوا يستقرون بالقرب منهم ويرتبطون بهم و يقيمون معهم علاقات صداقة ويبذلون جهودا كبيرة من أجل إقناعهم باعتناق الإسلام ، كما أن أولئك الدعاة كانوا يحرصون كلما سنحت لهم الفرصة بذلك على تربية أبناء أولئك الملوك والرؤساء وفقا لتعاليم الإسلام و ينشئونهم عليها[1].

---

(١) MAuny (Raymond) :tableau geographique de l,oust Africa in au money –age ,dapres les sources ecrites ecries , la tradition et l,archeology, memoire de l,Ifan,n!٦١, Dakar, ١٩٦١. P٤٨ – ٤٩.

المذهب المالكي في صُنغى[١]:

ومن أهم دول وملوك السودان الغربي الذين استفادوا خلال تلك المرحلة من هذا النشاط الدعوى دوله صُنغى وعاصمتها جاو ، حيث انتشر فيها الإسلام نتيجة للعلاقات التجارية التي ربطت الشمال الإفريقي ببلاد السودان الغربي، حيث إن طرق القوافل التي حملت معها التجارة حملت معها أيضاً الدعاة المسلمين و خاصة تجار ودعاة الأباضية الذين قدموا عليها زمن الدولة الرستمية(١٦٠ ـ٢٩٧هـ / ٧٧٧ـ ٩٠٩ م)[٢] التي اتصلت من عاصمتها تاهرت عن طريق القوافل التجارية التي كانت تخرج من ورجلان قاعدة الرستميين التجارية في الصحراء. وقد وقع على كاهل هؤلاء التجار نشر الدعوة الإسلامية بين الرعايا بجانب ممارستهم نشاطهم

---

(١) ودوله صُنغى تعرف بـ (أو صُنغى ـ سغى ـ سونقهاى ـ صونغهاى ـ صنغاى ـ سنغاى ...) قامت مملكة صنغى الأولى في إقليم دندى على النيجر الادنى ، وأقدم ماعرف عنها الآن ، هو أنة في حوالي عام ٣٩٩هـ/ ٩١٢م)كانت عاصمة هذه المملكة هي مدينة كوكيا على النيجر ، وتقع على بعد نحو مائة ميل جنوب جاو العاصمة ، ويقول السعدي ، عن كوكيا ، : "حشر فرعون السحرة في مناظرته مع الكليم عليه السلام "السعدي : مصدر سابق ، ص٣،وأياً ماكانت رواية السعدي ، فالمحقق أن كوكيا أقدم العواصم المعروفة لدولة صنغى ، غير أنة ، منذ حوالي القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي" ، يبدأ تاريخ صنغى في الوضوح ، وذلك حين قامت أسرة الازواء في الحكم ، وهى التي تحول لقبها فيما بعد (القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي) إلى أسرة شي ، أنظر إبراهيم على طرخان : إمبراطورية صُنغى الإسلامية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الرياض ، المجلد الثامن ، ١٩٨١م ، ص ٨،٩. وقد عاصرت دوله غانة ودوله مالي ، وبقيت صُنغى حتى سنه ١٠٠٣هـ / ١٥٩٤م وينقسم تاريخها إلى قسمين فيما يتعلق بالإسلام ، فقد كانت على الوثنية حتى عام ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م ، ثم اعتنق ملكها الإسلام في هذا التاريخ ، وأصبحت منارة لحضارة الإسلام ومبادئه ، أنظر حسن أحمد محمود:الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، جـ١ ، ص٢٤٦.

(٢) الوسيانى : سير أبى الربيع الوسيانى ، مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٩١١٣ح ميكروفيلم رقم ٨٤٥٢، ص٤٩، الدرجينى : طبقات المشايخ بالمغرب ، تحقيق إبراهيم طلاى ، الجزائر ١٩٧٤م ، جـ٢، ص٣١٩، ٣٢٠.

التجاري ، إذ كانوا يرون في انتشار الإسلام جنبا إلى جنب مع نشاطهم التجاري تدعيما لهذا النشاط[١] ، يشهد على ذلك ثراؤهم الكبير[٢] .

هذا وقد استمر تدفق الإسلام إلي جاو حتى بعد زوال الدولة الرستمية حيث تمكن الإسلام من جماعة كثيرة من سكانها، لكن انتقل الدور الدعوي من تجار الأباضية إلي تجار المالكية.

ومعروف أن جاو تقع في منطقة الحوض الأوسط لنهر النيجر حيث كانت ترتبط بإفريقية عبر الجادة الصحراوية التي تصل كوكيا بالقيروان مروراً بتادمكة السوق[٣] ،ومنذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي كان تجار ودعاة وفقهاء إفريقية المالكيون يرتادون جاو ومنهم من كان يستقر بها ، حيث انتشر الإسلام مما شجع الحاكم الخامس عشر من حكام صُنغى الذي تذكر المصادر أنه أسلم عام (٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م) ، وأعطى لنفسه لقب "مسلم دام" ومعناه في لغتهم أسلم

---

(١) ويؤكد مؤرخو الاباضية ،من خلال ما ذكره الوسياني المتوفى عام (٤٧١هـ/ ١٠٧٨) في أحداث الحكم الثاني للدولة الرستمية عبد الوهاب بن عبد الرحم بن رستم (١٧١-٢٠٨هـ/ ٧٨٨-٨٢٣م) أن أبنه أفلح عزم على السفر إلى بلاد كوكو لكن أباه صرفه عن عزمه ، ومما يؤكد على قوة العلاقة بين الطرفين وأهميتها للطرفين ، من أجل تقوية العلاقات بينهما ، وحين آل أمر حكم الدولة الرستمية إلى أفلح بن عبد الوهاب (٢٩٨-٢٥٨هـ/ ٨٢٣-٨٧١م) سعى لدعم هذه العلاقات مع بلاد السودان الغربي ، فأوفد سفارة رسمية إلى تلك البلاد ، على رأسها محمد بن عرفة الذي تولى مناصب رفيعة في الدولة الرستمية ، محملا بهدايا من أفلح إلى ملك السودان ، فسر هذا الملك من الوفد وهيئته وهديته ، أنظر الوسياني :سير أبى الربيع الوسياني ، مخطوطة ، ص٤٩ ، ابن الصغير : أخبار ألائمه الرستميين ، مصدر سابق ، ص٧١.
Devidson, B : Old Africa rediscoverd ,London ,١٩٥٩,p ٩٧.

(٢) كان بيت ابن زلفين المزاتى يتملك من الإبل ثلاثمائة ألف ، ومن الغنم ثلاثمائة ألف ، ومن الحمير اثنى عشر ألفا ، أنظر النفوسى "سليمان بن الشيخ عبد الله الباروني ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م" :الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية ، مطبعة الأزهار البارونية ، بدون تاريخ ،جـ٢، ص ١٣٧ .

(٣) البكري : مصدر سابق ، ص٣٧٢.

طواعية وبدون إكراه[١] ، وأصبح البزركانيون أهل جاو[٢] لايملكون عليهم أحداً من غير المسلمين، وكان هذا قبل قيام دوله المرابطين[٣].

وقد ذكر لنا البكري في هذا الصدد ،"...ومدينة كوكو ...وهى مدينتان ، مدينة الملك ومدينة المسلمين ، وملكهم يسمى قندا ، وإذا تولى منهم ملك ، دفع إليه خاتم وسيف ومصحف يزعمون أن أمير المؤمنين بعث إليهم بذلك ، وملكهم مسلم ، ولا يُملكون غير المسلمين "[٤].

وهذا القول يدل على أن حاكم جاو في منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي كان مالكياً ، فقد أشار البكري إلي هذا الأمر الذي تدعمه الأدلة الأثرية أيضاً، إذ تؤكد شواهد القبور التي اكتشفت بالقرب من جاو اتخاذ حكام صُنغي ألقاباً شرفية متطورة تتناسب مع استخدام الدول الإسلامية السنية[٥]

---

(١) عبد الرحمن السعدي :"عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي كان يعيش بعد عام١٠٦٥هـ/ ١٤٩٦م " : تاريخ السودان ،طبعة هوداس وبنوة ، مطبعة بردين،مدينة أنجى ١٨٩م،ص ٣

(٢) البرزكانين هم أهل جاو ، أنظر البكري ، ص٣٧٢.

(٣) عثمان برا يما بارى :جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي ،دار الأمين للنشر و التوزيع ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م ،ص٤٤.

(٤) البكري : مصدر سابق ، ص٣٧٢. وترى الباحثة أن رأى البكري الذي تحدث عن ملك صُنغى المسلم وعلاقاته بأمير المؤمنين ربما يكون قد أضفى وعن قصد على من يعنيه أمير المؤمنين قدرا من الغموض لكونه سنيا وأندلسيا مواليا للأمويين من جهة ، وعدوا للفاطميين ومنهجهم من جهة أخري.

(٥) أتخذ ثلاثة ملوك أسماء الرسول وخليفته "محمد بن عبد الله المتوفى في ٤٩٤هـ، وأبو بكر بن أبى قحافة المتوفى ٥٠٣هـ ، وعمر بن الخطاب المتوفى ٥١٤هـ، ومن خلال أثنين من هذه الشواهد تم نحتها بالتأكيد في أسبانيا ، حيث يسود الاعتقاد أن حمل هذا اللقب ينشأ عن العادة الإسبانية التي بدأت تثبت منذ ٤٤٦هـ في بلاط مع لقب الناصر لدين الله ، والتي وردت على مقابر جاو وهى مرتبطة باسم الخليفة الاموى ،أنظر sauvaget .j : les Epiaphes royales de Gao, Al andalus, vol xlv .fasc l, Madrid , ١٩٤٩, p١٣٧,p١٣٨.

كما تدل هذه الشواهد على العلاقة القوية التي ربطت بين المرابطين حكام المغرب والأندلس مع ملوك صُنغي في أواخر القرن الخامس الهجري ، فمن خلال دراسة سوفاجيه لشاهد قبر أحد الملوك لهذه الدولة والذي كتب عليه ما يلي : هنا يرقد الملك أبو عبد الله بن محمد الذي دافع عن دين الله وهو الآن في رعاية الله ورحمته ، وكان هذا في عام(٤٩٤هـ/ ١١٠٠م)[١].

وتؤكد هذه التواريخ الموجودة على هذين الشاهدين أنه تم نحتهما في مدينة المرية الأندلسية في الوقت الذي كان المرابطون يسيطرون فيه على الأندلس ،ولذلك يمكن القول بأن هناك صلات تمّت عبر المرابطين بين مدينة المرية حيث تم نحت هذه الشواهد ، ومدينه جاو حيث فيها هذه الشواهد[٢]، ويقول سوفاجه : "كان من الممكن الاعتقاد بأن صانع تلك الشواهد قدم من الأندلس إلى جاو[٣] في عام(٤٩٤ هـ/ ١١٠٠م)[٤] وفى عام(٥٠٢ هـ/ ١١٠٩م) لعمل تلك الشواهد بنفس الأسلوب

---

(١) Sauvaget .j :cit ,op,p١٢٤ا١٢٥.

(٢) Ibid,: p,١٣٢, ١٣٣.

(٣) يرى سوفاجيه أن هذين الشاهدين قد نحتا في الأندلس وخاصة في مدينه المرية Almeria ثم نقلا إلى المقابر الملكية في جاو وكانت أدلته على ذلك :

شكل الحروف الكوفية المستخدمة في الشاهدين وخاصة شكل حرف العين الذي تشبه كتابته علي الشاهدين اللذين عثر عليهما في جاو شواهد قبور عثر عليها في ألمرية . طريقه كتابة "هاذا" بدلا من "هذا" هي الشائعة في النقوش العربية بالأندلس . التشابه بين الركنيات الزخرفية في شواهد المرية وشواهد جاو .

كما كان هناك بعض الآيات القرآنية وبعض النصوص الشعرية لأبى العتاهية المنظومة مبنية على نفس الوزن ونفس القافية ، وهى تعتبر بمثابة مفاجأة مفاجئة في جاو حيث يصعب شرحها عبر الظروف المحلية وحدها ، ولكن في إسبانيا تثبت عادة نقش الأشعار على القبور ، على الأقل تلك القبور الخاصة بالشخصيات الكبرى

(٤) Sauvaget .j:Ibid, , p١٢٦ ,١٢٧, ١٣٢, ١٣٣

Sauvaget .j:Ibid, , p١٢٤ا١٢٥.

، لكن أبعاد هذه الشواهد ووزنها الضئيل نسبيا تجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأنه قد تم نحتها في الأندلس وبالتحديد في مدينة المرية Almeria ونقلت إلى مدينة جاو ووضعت على المقابر الملكية[١].

وهذا يؤكد أن التأثير السني المالكي للمرابطين كان واضحاً على إمارة صُنغى وعاصمتها جاو ، وأن المذهب المالكي هو مذهب هذه الدولة .

المذهب المالكي في إمارة التكرور[٢] :

لم يكن ملك جاو هو الملك السوداني الوحيد الذي أسلم تحت تأثير الدعوة ، وإنما كان هناك ملوك عديدون من أمثال وارجابى بن رابيس ملك التكرور الذي أسلم بعد تولية حكم بلاده، وكان إسلامه في الثلث الأول من القرن الخامس ، أي قبل حركة المرابطين ، وهذا ما نستخلصه من كلام البكري في معرض حديثه عن مملكة التكرور وسكانها[٣].

عمل وارجابى بن رابيس على الدعوة للإسلام في مدينه سلى القريبة منه واستجاب ملك سلى لدعوته دون تردد[٤] .

---

(١) Sauvaget .j:Ibid , p١٢٨, ١٢٩.

(٢) التكرور : مدينة في بلاد السودان عظيمة مشهورة ، أهلها أشبه الناس بالزنوج ، وتقع إمارة التكرور على الضفة اليسرى لنهر السنغال ، وهى بذلك تقابل مجال صنهاجة اللثام على الضفة الأخرى ، خاصة قبيلة جدالة (آخر الإسلام خطة) أنظر البكري : مصدر سابق، ص٣٥٩، ٣٦٠.

(٣) البكري : المصدر السابق ، ص٣٦٠ .

(٤) البكري : مصدر سابق ، ص ١٧٢ .، أحمد الشكرى :مرجع سابق ،ص٩٥، نقولا زيادة : معاهد العلم الإسلامية في السودان الغربي في العصور الوسطي ، المؤسسة الجامعية،١٩٨٧، ص ٤٦، ٤٧،
usman Muhammad bugE: cit,op ,p ٦٩.

وكان الإسلام في إمارة التكرور منتشراً على مذهب الإمام مالك ، ويرجع ذلك إلى الحيز الجغرافي لإمارة التكرور الذي يقع على الضفة اليسري لنهر السنغال ، ويقابل مجال صنهاجة اللثام والذي يقع على الضفة الأخرى لهذا النهر خاصة قبيلة جدالة المالكية[١] .

ومما لاشك فيه أن الفقهاء والدعاة والتجار كان لهم دور أساسي في تهيئة الأهالي لقبول الإسلام ، وكان دائما يوجد الفقهاء إلي جانب الملك أو الأمير الوثني في تسيير شؤون مقاطعته[٢] وهذا لا يمثل حالة خاصة وإنما مثل ظاهرة عامه لأننا سنصادف حالات مماثله في الإمارات الأخرى .

المذهب المالكي في مالي[٣]:

اعتنق ملك مالي الإسلام أيضاً تحت تأثير الدعاة سواء كانوا من أهلها أو من الدعاة البربر الذين استقروا في بلاد السودان الغربي . ويذكر البكري أن سبب دخول ملك مالي في الإسلام يرجع إلى الجفاف الذي عرفته بلاده التي كانت تعتمد في حياتها على الزراعة ، وأن ذلك الجفاف استمر سنوات متتالية ، أهلك السكان خلالها الكثير من الحيوانات تقربا إلى أصنامهم لوضع حد لهذا الجفاف ، وقد أعياهم التوسل لتلك الأصنام دون فائدة ، مما شجع أحد الدعاة المسلمين المستقرين في

---

(١) حسين مراد : المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص ٥٩.

(٢) هناك روايات تؤكد معرفتهم ببعض جوانب الشريعة وأن شريعة الإسلام تحدد عدد الزوجات الشرعيات ، أنظر البكري : مصدر سابق ، ص ٣٦٢.

(٣) تعرف بمالي ومللى ، ويقول البكري : يوجد بلد مللى جنوب مملكه غانة في المسافة الفاصلة بين عاصمتيها ، ويضيف الادريسى أنها نحو ١٢ مرحلة، أنظر الإدريسي : مصدر سابق ، ص ٦ ، البكري: مصدر سابق ص٣٦٦ Hunwick. J.o :The mid- Fourteenth Century Capital of Mail , the, Journal Of African history ,vol .١٤,No٢ ,١٩٧٣cambridge university press,pp١٩٥-٢٠٦.

حاضرة السلطان إلى التدخل بعد أن اشتكى إليه الملك حال بلاده، فربط هذا الداعية نهاية الجفاف باعتناق الملك للإسلام ، ولم يزل يدعوه إليه ويظهر له محاسنه ويرغبه فيه"... حتى أسلم وأخلص نيته و أقرأه من كتاب الله ما تيسر عليه وعلمه الفرائض والسنن . وأمر الملك بكسر الدكاكير وإخراج السحرة من بلاده فأسلم وصح إسلامه وإسلام عقبه وخاصته ، وكان معظم أهل مملكته مشركين ، فسموا ملوكهم منذ ذاك بالمسلمانى[١]. وقد قلده خلفاؤه واقتفوا أثره في الاحتفاظ بالإسلام وإدخال قيمه وتعاليمه إلى بلادهم ، والالتزام بشعائره في إطار المراسيم الملكية لدولة مالي ، وينسب كي زربو إقناع هذا الملك بالعقيدة الإسلامية إلى أحد فقهاء قبيلة لمتونة من قبائل الملثمين[٢] وهى إحدى كبريات تلك القبائل الصحراوية، ومنها كان أمراء دولة المرابطين وكبار قادتها. ويُرجح الدكتور حسين مراد هذا الرأي بقوله : " إن هذا الفقيه الذي كان موجودا في بلاد الملك "يُقرأ القرآن و يعلم السنة " كان على المذهب المالكي الذي تَدعم بفضل جهود المرابطين"[٣].

وهكذا كان حكام مالي علي المذهب المالكي لذلك لا يمكن تصديق رواية المؤرخ الأباضي الدرجيني المتوفى عام (٦٧٠هـ / ١٢٧٢ م)والذي ادعى أن جده على بن يخلف الذي سافر عام(٥٧٥ هـ / ١١٨٠م) إلى مالي هو الذي هدى ملك هذه الدولة إلى الإسلام ، لأن البكري كتب مؤلفه عام (٤٦٠هـ/١٠٦٧م) وهذا يعنى أن إسلام ملك مالي حدث في منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي وليس منتصف القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ومن هنا أراد

---

(١) البكري : مصدر سابق ،ص٣٣٦. والحقيقة فإن المؤلفين قد اختلفا في اللقب الذي كان ذلك الملك المسلم يحمله "المسلمانى ـ برمندانه " أنظر أبن خلدون : مصدر سابق ، جـ٢، ص ١٨٩٤ .

(٢). Josephkl_zerBo :Histoire de l, Afrique d , hier a demai, hatier , paris,١٩٧٢.p١٣٣

(٣)حسين مراد : المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص٦٠ . Usman : op,cit ,p ٧٣ Muhammad bugE

الدرجيني أن ينسب لجده الأباضي المذهب هذا النجاح والسبق الذي حققه داعية مالكي المذهب مجهول الاسم[١].

وتؤكد طريقة دخول ملك مالي في الإسلام في منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي فاعلية أسلوب الدعوة ، وأن هذا الدين انتشر على أساس المذهب المالكي في السودان الغربي من أجل استقطاب الشخصيات المؤثرة إلى الدخول في الإسلام[٢].

المذهب المالكي في غانة[٣]:

انتشر الإسلام في غانة بفضل جهود الدعاة والتجار المغاربة ، ساعد علي ذلك حكام تلك الدولة الذين كانوا محبين للمسلمين ، فقد كان ملكهم " بسي " محمود السيرة محباً للعدل مؤثرا للمسلمين[٤].

---

(١)يستفاد ذلك من رواية البكري حيث يقول :."بأن أسلام مالي حكومة وشعبا كان في منتصف القرن الخامس الهجري ، وليس عام ٥٧٥هـ/ ١١٨٠م ، أنظر البكري : مصدر سابق ، ص ٣٦٣، ٣٦٤ ، كما يقول الدرجيني ، أنظر الدرجيني ، طبقات المشايخ بالمغرب ، ص٥١٧، ٥١٨، حسين مراد :المرجع السابق ، ص٦٠.

Lewlcki ,T : Arabic external sources ,for The history of the Africa to the south of sahara ,٢ed London١٩٦٩,pp. ٧٢\٧٣

cuoq ,j : ,Islumisation cit ,p١٤٣. (٢)

usman Muhammad bugE: cit ,op ,p ٧٧.

(٣) باستقراء المعطيات التي تطرحها المصادر العربية والرواية الشفوية ومقارنتها ، تمكن الباحثون من تحديد الإطار الجغرافي للمنطقة التي تقوم عليها المملكة ، وتم توطينها فنيا بين نهري السنغال غربا والنيجر شرقا ، وعلى حدودها الشمالية كانت تتحرك القبائل البربرية الصحراوية ، وفى الفترة التي بلغت فيها مملكه غانة أوج قوتها تمكنت من مد نفوذها جنوبا لكنها لم تلامس مقدمة الغابات الاستوائية ، للمزيد أنظر أحمد الشكرى ، الإسلام والمجتمع السوداني ، مرجع سابق ، ص١٠٩ .

(٣) البكري : مصدر سابق، ص٣٦٣.

Cuoq ,J,M : L,Islumisation,p١٤٣(٤)

وتؤكد الكشوف الأثرية التي أجريت على موقع عاصمة غانة القديمة أن أقدم مساجد العاصمة بني في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، مع ترجيح وقوع غانة في نهاية طريق القوافل الغربي الذي يربط بين سجلماسة وغانة[١] .

فضلا عن ذلك ، كان الإمبراطور يعفى المسلمين من الكثير من التقاليد المفروضة على رعاياه وأهل مملكته والتي قال عنها البكري : "...فإذا دنا أهل دينه منه جثوا على ركبهم ونثروا التراب على رؤوسهم ، فتلك تحيتهم له ، أما المسلمون فإنما سلامهم عليه تصفيق باليدين ..."[٢] .

ولقد شجع هذا الوضع التجار المسلمين على التوافد بكثرة إلى غانة حتى أصبح الجزء الذي يخصهم من عاصمته يحتوى علي اثني عشر مسجداً أحدها يجتمعون فيه و بها الأئمة والمؤذنون و الراتبون و حملة علم[٣] .

وهكذا حظي المسلمون بالإيثار في غانة في عهده، ليس فقط لمجرد إعجاب الإمبراطور الغاني باستقامتهم وامتلاكهم للغة مكتوبة تساعده على تنظيم أجهزة الدولة وتنظم العلاقات الخارجية مع الدول الأخرى ، بل كان الإمبراطور يستأنس بهم ويطمئن إليهم ، لذا خصهم بامتيازات كثيرة . فقد ذكر البكري منها أنه " في مدينة الملك مسجد يصلى فيه من يفد إليه من المسلمين على مقربة من مجلس حكم

---

(١)البكري : مصدر سابق ، ص ٣٤٦.

(٢) المصدر السابق ، ص ١٤٩.

Lamin Sanneh : The Origins of Clericalism in West African Islam The Journal of African History, Vol. ١٧, No. ١ (١٩٧٦), Cambridge University Press p٥١.

(٣)الادريسي : مصدر سابق ، ص٤.

الملك ، وتراجمة الملك من المسلمين ، وكذا صاحب بيت ماله ، ومعظم وزرائه من المسلمين[١] المغاربة الذين كانوا على المذهب المالكي.

كما أسهمت دولة المرابطين في دعم هذا المذهب في غانة أواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، ولتأكيد ارتباط هذه المملكة بمذهب السنة المالكي أعلن ملك غانة تبعيته للخلافة السنية,كما أنه أدعى النسب العلوي، ليدعم نفوذه وحكمه في بلاده، وهذا الادعاء يؤكد أن الملك الغاني كان مسلماً سنياً لأنه مجرد إدعاء .

والجدير بالإشارة أن الدعوة السلمية للإسلام في السودان الغربي قد أثرت وبشكل جلي في تلك البلاد منذ بداية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، حيث الانتصار النهائي للإسلام بمذهبه السني المالكي فقد أصبح الدين الرسمي بمذهبه هذا للوحدات السياسية كافة ويعتنقه الحكام والمحكومون.

ومن العرض السابق للجهود التي بذلت منذ بداية الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب وحتى أيام المرابطين نجد أن انتشار الإسلام في بلاد السودان الغربي قد سبق قيام دولة المرابطين بزمن كبير . وأما بدايات دخول المذهب المالكي للسودان الغربي فقد كانت أسبق من عصر المرابطين بزمن ليس بالقليل ومع ظهور المرابطين عم المذهب المالكي وانتشر في بلاد السودان الغربي بفضل تحمسهم له .

وبعد أن تم التحديد الزمني لانتشار الإسلام وظهور المذهب المالكي في السودان الغربي، سوف نتحدث الآن عن المرحلة التالية للمذهب في تلك البلاد ، وهى مرحلة الذيوع والانتشار، تلك المرحلة التي شهدت سيطرة دولة مالي على

---

(١) Usman Muhammad:op,cit,p٧٠

Hiskett, M: op,cit,p ٢٣.

معظم مناطق السودان الغربي ، والتي تعقبها مرحلة سيادة المذهب المالكي عندما انتقلت السيادة العسكرية على تلك المنطقة الحيوية إلى دولة صُنغى الإسلامية .

obeikandl.com